

**THE BOOK WAS
DRENCHED**

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190656

UNIVERSAL
LIBRARY

OUP—881—5-8-74—15,000.

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ^ع ٨٩٤١ ^{٢٧٥} Accession No. **A503**

Author ^د ^ش شاکر القلوبی

Title ^{دلیل الحاکم فی فوائده النازد العالم}

This book should be returned on or before the date last marked below.

٧٥٤٤١١٣
دليل الهائم

في

CHECKED 1965

صناعة الناشر والناظم

جمعة الفقير اليه تعالى شاكر البتلوني



نظر فيه وضبطه وصحّحه

العلامة اللغويّ الشيخ ابراهيم اليازجي



حق طبعه محفوظ

طبع ثانية في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٠

برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلة

بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الْأَسْمَاءِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ أَحْيَادَ الْبَلَاغَةِ بِعُقُودِ النَّصَاحَةِ
وَالْبَيَانِ وَجَعَلَ اللَّفْظَ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى دَلِيلًا
عَلَى الْمَجْنَانِ * وَبَعْدُ فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صِنَاعَةَ الْإِنشَاءِ قَدْ
أَخَذَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ جَمَالَ زُخْرُفِهَا وَمَاسَتْ خُرْدُ
النَّصَاحَةِ تَجَرُّ عَلَى مَتُونِ الْمَهَارِقِ فَضَلَ مُطَرِّفِهَا فَعَاصَتْ
أَقْلَامُ الْأَدَبَاءِ عَلَى جَوَاهِرِ اللَّفْظِ تَلَقُّطُهَا مِنْ خِلَالِ
جَدَاوِلِ الْأَسْفَارِ وَأَسْنَتُ قَرَائِحِ الْأَلْبَاءِ فِي سَنَنِ
التَّحْدِي عَلَى آثَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ رَأَيْتُ أَنَّ
أَتَحِفَ الْمُتَادِرِينَ وَمَنْ نَظَّمَتْهُمْ حَلَقَاتُ الْمَدَارِسِ فِي هَذَا
الْعَصْرِ بِسِفْرِ يُسْفِرُ عَنْ جُلِّ آدَابِ الْإِنشَاءِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الْمُبْتَدِئُ فِي مُعَانَاةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَجَمَعْتُ لِذَلِكَ هَذَا
الْكِتَابَ مَا خُوِّدَا عَنْ مُصَنَّفَاتِ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي
الْفَنِّ جَمِيعًا وَرَتَّبْتُهُ أَبْوَابًا وَفُصُولًا تَقَلَّتْ فِيهَا نُصُوصُهُمْ

وَرَصَّعَتْهَا فِي أَثْنَائِهِ تَرْصِيعًا ثُمَّ أَرَدَتْهَا بِطَائِفَةٍ مِنْ
أَقْوَالِهِمْ فِي ضُرُوبِ الرِّسَائِلِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَغْرَاضِ
الْمُرْسَلِينَ وَالْكِتَابِ لِتَكُونَ مِثْلًا يُخَذُّ بِهِ السَّالِكُ عَلَى
طَرِيقَتِهِمْ بَعْدَ مُطَالَعَةِ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَخَشْنَتُهُ
أَخِيرًا بِقِفَرٍ مُتَفَرِّقَةٍ نَقَلَتْهَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِي مَعَانِ شَتَّى مِنْ
الْوَصَفِ بِمَكْنٍ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا الْكَاتِبُ حَيْثُ اضْطَرُّ إِلَيْهَا
أَوْ يَسْتَظْهَرُ بِهَا عَلَى الذِّكْرِ فِيمَهْدِي إِلَى تَرَكَيبِ آخَرٍ
مِمَّا يَجْرِي فِي أَسْلُوبِهِ عَلَيْهَا وَلَمَّا تَسَنَّى لِجَمْعِهِ وَاتَّسَقَ
وَأَنْتَظَمَ شَمِلُ فَرَائِدِهِ عَلَى هَذَا النَّسَقِ وَضَعْنَاهُ بَيْنَ يَدَيِ
حَضْرَةِ الْعَالِمِ الْعَلَامَةِ وَالْأُسْتَاذِ الْمَغْوِيِّ الْفَهَامَةِ الشَّيْخِ
إِبْرَاهِيمَ الْيَارْحِي فَسَخَّ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ
قَبْلَ تَشْبِيلِهِ تَسْدِيدًا لِمَنْهَجِهِ وَتَذَارُكًا لِمَا سَقَطَ عَنِّي فِي
بَعْضِ فُصُولِهِ فَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ كِتَابًا وَافِيَ الْفَوَائِدِ صَافِي
الْمَوَارِدِ يَنْفَعُ عَلَى قَلَّةِ رَشْحِهِ غَلَّةَ الصَّادِي وَيَنْفَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ
الْبَادِي وَالشَّادِي وَقَدْ سَمَّيْتُهُ دَلِيلَ الْهَائِمِ فِي صِنَاعَةِ
النَّائِرِ وَالنَّائِظِ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِيدَ بِهِ الطُّلَّابَ
وَيَجْعَلَهُ مُقَدِّمَةً لِحَافَةِ الثَّوَابِ بِمَنِّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

فهرس الكتاب

الباب الاول

صفحة

- ١ الفصل الاول في شرف العلم
٥ الفصل الثاني فيما ينبغي لطالب العلم
١١ الفصل الثالث في اوائل العلم ومداخله
١٢ الفصل الرابع فيما يجب على المعلم وفي وجه الصواب في تعليم الخ
١٥ الفصل الخامس في استعمال العلم
١٦ الفصل السادس فيما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق الخ
الباب الثاني

- ١٩ الفصل الاول في اركان الكتابة
٢١ الفصل الثاني في ادوات الكتابة
الفصل الثالث في الصناعة اللفظية وهي قسمان
٢٤ القسم الاول في اللفظة المفردة
٢٢ القسم الثاني في الكلام
٤٠ الفصل الرابع في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر
٤٤ الفصل الخامس في السجع
٤٨ الفصل السادس في كيفية عمل الشعر ووجه تعلمه
الفصل السابع في الفصاحة والبلاغة وفيه قسمان
٥٤ القسم الاول في الفصاحة
٥٨ القسم الثاني في البلاغة
٦١ الفصل الثامن في المبادئ والافتتاحات
٦٨ الفصل التاسع في التملص والافتضاب
٧٥ الفصل العاشر في الختام

القسم الأول

في أدب الكاتب وصناعته
وفيه ناهان

الكتاب الأول

في آداب العلم والتعليم
وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في شرف العلم

إِعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الرّاعِبُ. وأفضل ما طلب وجد فيه الطّالِبُ. وأنفع ما كسبه وأفتناه الكاسِبُ. لأنّ شرفه يُشهر على صاحبه. وقضله يني على طالبيه. قال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بنيّ تعلّموا العلم فإنّ كنتم سادة فكنتم. وإن كنتم وسطاً سدتم. وإن كنتم سوقة

عَشْتُمْ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ تَعْلَمُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَقُولُكَ
وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا . وَيَقْدِمُكَ وَيُسَوِّدُكَ كَبِيرًا . وَيُصْلِحُ زَيْغَكَ
وَيُفَسِّدُكَ . وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ . وَيَقْوِمُ عِوَجَكَ وَمِيلَكَ .
وَيُصَحِّحُ هِمَّتَكَ وَأَمَلَكَ . وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَعْلَمُ
الْعِلْمَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ
مَالٌ كَانَ لَكَ مَلَا . وَقَالَ بَشِيرُ بْنُ خَالِدٍ لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ
بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ فَخُذْ مِنْهُ فَإِنَّ الْأَمْرَ عَدُوٌّ مَا جَهَلْتَ وَأَنَا
أَكْبَرُهُ أَنْ تَكُونَ عَدُوًّا شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ . وَأَنْشَدَ

تَفَنَّنَ وَخَذَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّمَا
يَفُوقُ أَمْرُو فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ

بِهِ وَلِإِلْعَالِمٍ أَنْتَ تُنْقِنُهُ سِلْمٌ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ كُلُّ عَزٍّ لَا يُوطِدُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ وَكُلُّ
عِلْمٍ لَا يُؤَيِّدُهُ عَقْلٌ مُضِلَّةٌ . وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ خَيْرًا جَعَلَ الْعِلْمَ فِي مُلُوكِهِمُ وَالْمُلْكَ فِي
عُلَمَائِهِمْ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ الْعِلْمُ عُصْمَةُ الْمُلُوكِ لِأَنَّهُ
يَمْنَعُهُمُ مِنَ الظُّلْمِ . وَيَرْدُّهُمْ إِلَى الْحِلْمِ . وَيَصُدُّهُمْ عَنِ

الْأَذْيَةِ وَيَعْطِفُهُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ . فَمِنْ حَقِيمٍ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ
 وَيَسْتَنْبِطُوا أَهْلَهُ . وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ
 الْمَالِ . الْعِلْمُ يَجْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ . الْعِلْمُ حَاكِمُ
 وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ . مَاتَ خُزَانُ الْأَمْوَالِ وَبَقِيَ خُزَانُ
 الْعِلْمِ . أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ . وَأَشْيَاخُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ
 وَرُبَّمَا أَمْتَنَعَ الْإِنْسَانُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِكِبَرِ سِنِّهِ وَاسْتَحْيَايِهِ
 مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ فِي كِبَرِهِ . فَرَضِي بِالْأَجْهَلِ أَنْ
 يَكُونَ مَوْسُومًا بِهِ وَآثَرُهُ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَصِيرَ مُبْتَدَأًا بِهِ . وَهَذَا
 مِنْ خِدَاعِ الْأَجْهَلِ وَغُرُورِ الْكَسَلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ فَضِيلَةً
 فَرَغْبَةُ ذَوِي الْأَسْنَانِ فِيهِ أَوَّلَى وَالْإِبْتِدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ
 وَلَنْ يَكُونَ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ شَيْخًا جَاهِلًا
 وَرُبَّمَا أَمْتَنَعَ أَيْضًا مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِنَعْدَرِ الْمَادَّةِ وَشُغْلِهِ
 اكْتِسَابَهَا عَنِ الْإِهْمَاسِ الْعِلْمِ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَعْذَرَ مِنْ غَيْرِهِ
 مَعَ أَنَّهُ قَلَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي شَرِّهِ وَعَيْبٍ وَشَهْوَةٍ
 مُسْتَعِيدَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ إِلَى الْعِلْمِ حَظًّا مِنْ زَمَانِهِ فَلَيْسَ
 كُلُّ الزَّمَانِ زَمَانُ اكْتِسَابٍ وَلَا بَدٌّ لِلْمُكْتَسِبِ مِنْ أَوْقَاتِ
 اسْتِرَاحَةٍ وَأَيَّامِ عُطْلَةٍ وَمَنْ صَرَفَ كُلَّ نَفْسِهِ إِلَى الْكُسْبِ حَتَّى

لَمْ يَتْرُكْ لَهَا فَرَاغًا إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْ عَبِيدِ الدُّنْيَا وَاسْرَاءِ الْحِرْصِ
 وَرُبَّمَا مَنَعَهُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مَا يَظُنُّهُ مِنْ صُعُوبَتِهِ وَبُعْدِ
 غَايَتِهِ وَيَخْشَى مِنْ قَلَّةِ ذَهَبِهِ وَبُعْدِ فِطْنَتِهِ وَهَذَا الظَّنُّ أَعْدَاؤُ
 ذَوِي النِّقْصِ وَخَبْنَةُ أَهْلِ الْعِجْزِ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ قَبْلَ الْإِخْبَارِ
 جَهْلٌ وَالْخُشْيَةُ قَبْلَ الْإِبْتِلَاءِ عِجْزٌ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ
 لَا تَكُونَنَّ لِلْأُمُورِ هَيُوبًا فَإِلَى خَبِيئَةٍ يَصِيرُ الْهَيُوبُ
 وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عِلْمُهُ. وَمِنْ
 عَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَنِيهِ يَا بَنِي تَعْلَمُوا
 الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَتَّالُوا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا حَظًّا فَلَنْ يَذُمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَذُمَّ الزَّمَانُ بِكُمْ
 وَيَنْبَغِي لِمَنْ زَهَدَ فِي الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ رَافِيًا. وَلِمَنْ رَغِبَ
 فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ طَالِبًا. وَلِمَنْ طَلَبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مُسْتَكْنَرًا.
 وَلِمَنْ اسْتَكْنَرَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عَامِلًا. وَأَنْ لَا يَطْلُبَ لِتَرْكِهِ
 احْتِجَاجًا وَلَا لِلتَّقْصِيرِ فِيهِ عُذْرًا. وَلَا يُسَوِّفُ نَفْسَهُ بِالْمَوَاعِيدِ
 الْكَاذِبَةِ وَيُمْنِيهَا بِاتِّقَاعِ الْأَشْغَالِ الْمُتَّصِلَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ
 وَقْتٍ شُغْلًا. وَلِكُلِّ زَمَانٍ عُذْرًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ
 رُوحٌ وَتَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَقْضِي

نَمُوتُ مَعَ الْمَرِّ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
وَأَنْ يَقْصِدَ طَلَبَ الْعِلْمِ وَاتَّقَاتِ تَبْيَسِيرَ اللَّهِ قَاصِدًا وَجَهَ اللَّهِ
تَعَالَى بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ . وَهُوَ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

الْفَصْلُ الثَّانِي

فِيهَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَنِي فِي طَلَبِهِ . وَيَنْتَهِزَ الْفُرْصَةَ
بِهِ . فَرُبَّمَا شَحَّ الزَّمَانُ بِمَا سَمِعَ . وَضَنَّ بِمَا مَنَعَ . وَيَتَدَيَّ مِنْ
الْعِلْمِ بَأَوْ إِلَيْهِ . وَبَأَنِيَّةٍ مِنْ مَدْخَلِهِ . وَلَا يَتَشَاغَلَ بِطَلَبِ مَا لَا
يَضُرُّهُ جَهْلُهُ . فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا لَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ .
فَإِنَّ لِكُلِّ عِلْمٍ فَضُولًا مُذْهِلَةً . وَشُدُورًا مُشْغِلَةً . إِنْ صَرَفَ إِلَيْهَا
نَفْسَهُ قَطَعَتْهُ عَنْهَا هُوَ أَهْمٌ مِنْهَا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعِلْمُ أَكْثَرُ
مِنْ أَنْ يُحْصَى فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ . وَقَالَ بَعْضُ
الْحُكَمَاءِ يَتْرَكَ مَا لَا يَعْنِيكَ . تُدْرِكُ مَا يُعْنِيكَ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ
يَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ إِشْعَارًا لِنَفْسِهِ أَنَّ
ذَلِكَ مِنْ فَضُولٍ عَلَيْهِ وَإِعْذَارًا لَهَا فِي تَرْكِ الْأَشْغَالِ بِهِ
فَإِنَّ ذَلِكَ مَطِيَّةُ النَّوْكِ وَعِذْرُ الْمُقْصِرِينَ . وَمَنْ أَخَذَ مِنْ

الْعِلْمُ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ مَا تَعَذَّرَ كَانَ كَالْفَنَاصِ إِذَا أَمْتَنَعَ
 عَلَيْهِ الصِّيدُ تَرَكَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَّا خَائِبًا إِذْ لَيْسَ يَرَى الصِّيدَ
 إِلَّا مُبْتَنِعًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ كُلُّهُ صَعَبٌ عَلَى مَنْ جَهَلَهُ سَهْلٌ عَلَى
 مَنْ عَلِمَهُ . لِأَنَّ مَعَانِيَهُ الَّتِي يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا مُسْتَوْدَعَةٌ فِي كَلَامٍ
 مُتَرَجِمٍ عَنْهَا وَكُلُّ كَلَامٍ مُسْتَعْمَلٍ فَهُوَ بِجَمْعٍ لَفْظًا مَسْمُوعًا وَمَعْنَى
 مَفْهُومًا فَالْلَفْظُ كَلَامٌ يُعْمَلُ بِالسَّمْعِ وَالْمَعْنَى تَحْتَ اللَّفْظِ يُفْهَمُ
 بِالْقَلْبِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ . الْعُلُومُ مَطَالِعُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ
 أَوْجِهٍ . قَلْبٍ مُفَكِّرٍ . وَلِسَانٍ مُعْبِرٍ . وَبَيَانٍ مُصَوِّرٍ . فَمَنْ خَلَّ
 الْكَلَامَ يَسْمَعِهِ فَيَفْهَمُ مَعَانِيَهُ بِقَلْبِهِ وَمَنْ فِهِمَ الْمَعَانِيَ سَقَطَ عَنْهُ
 كَلْفُهُ اسْتَغْرَجَهَا وَبَقِيَ عَلَيْهِ مُعَانَاةُ حِفْظِهَا وَاسْتِفْرَارُهَا لِأَنَّ
 الْمَعَانِيَ شَوَارِدُ تَضِلُّ بِالْإِغْفَالِ . وَالْعُلُومُ وَحْشِيَّةٌ تَنْفِرُ
 بِالْأَرْسَالِ . فَإِذَا حَفِظَهَا بَعْدَ الْفَهْمِ أُنِسَتْ وَإِذَا ذَكَرَهَا بَعْدَ
 الْأُنْسِ رَسَتْ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَكْثَرِ الْمَذَاكِرَةِ
 بِالْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عِلِمَ وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . وَقَالَ الشَّاعِرُ
 إِذَا لَمْ يُذَاكِرْ ذُو الْعُلُومِ يَعْلِمِهِ وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَا
 فَكَمْ جَامِعٌ لِلْكَتْبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ يَزِيدُ مَعَ الْأَيَّامِ فِي جَمْعِهِ عَمَى
 وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَ مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ مِنْهَا

لِيَعْلَمَ الْعِلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ
وَعِلَلِهَا فَوْضَلُ إِلَى تَلَا فِي مَا شَذَّ وَصَلَحَ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ بِخُلُو
السَّبَبِ الْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ
فِي الْكَلَامِ الْمُتَرَجِّمِ عَنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي الْمَعْنَى
الْمُسْتَوْدَعِ فِيهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي السَّمْعِ الْمُسْتَخْرَجِ
فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فَهْمِهَا لِعِلَّةٍ فِي الْكَلَامِ الْمُتَرَجِّمِ
عَنْهَا لَمْ يَخْلُ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِنَقْصِيرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى فَيَصِيرُ
نَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى
وَهَذَا يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ حَصَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَيْهِ
وَإِمَّا مِنْ بَلَادَتِهِ وَقِلَّةِ فَهْمِهِ

أَحْوَالُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ لِزِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى
فَتَصِيرُ الزِّيَادَةُ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فَهْمِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ
يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ هَذَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِكْثَارِهِ وَإِمَّا
لِسُوءِ ظَنِّهِ بِهِمْ سَامِعِيهِ

وَأَحْوَالُ الثَّلَاثِ أَنْ يَكُونَ لِمَوَاضِعَةٍ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ
بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّمْعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهُ

وَأَمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ وَزِيَادَتُهُ فَمِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ دُونَ
الْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذَلِكَ عَامًا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا
تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ . فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمُتَقَصِّرِ إِلَى الْكَلَامِ
الْمُسْتَوْفِي وَعَنِ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ تَكْلُفِ
مَا يَكُدُّ خَاطِرَكَ . وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا لِضَرُورَةٍ
دَعَاكَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِغْوَاةٍ غَيْرِهِ أَوْ لِحِمِيَّةٍ دَاخَلَتْكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ
فَهْمِهِ فَأَنْظُرْ فِي سَبَبِ الزِّيَادَةِ وَالْتَقْصِيرِ . فَإِنْ كَانَ التَّقْصِيرُ
لِحَصْرِ وَالزِّيَادَةُ لِهَذَرٍ سَهِّلْ عَلَيْكَ اسْتِخْرَاجَ الْمَعْنَى مِنْهُ لِأَنَّ
مَا لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَحْصُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَلِ مِنْهُ أَكْثَرَ
مِنَ الصَّحِيحِ . وَفِي الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَتْ
زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِسُوءِ ظَنِّ الْمُتَكَلِّمِ بِهِمْ السَّامِعِ كَانَ
اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ . وَإِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسُوءِ
فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَصْعَبُ الْأُمُورِ حَالًا وَابْعُدْهَا اسْتِخْرَاجًا . لِأَنَّ
مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَأَنْتَ مِنْ فَهْمِهِ أَبْعَدُ . إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِفَرْطِ
ذِكَايِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَنْبُهِ بِإِشَارَتِهِ عَلَى اسْتِنْبَاطِ مَا عَجَزَ
عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجِ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ فَضِيلَةً لِاسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ
الْتِقَادِ لَهُ . فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ

مِنْ فَهْمِ مَعَانِيهِ

وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النِّسْيَانُ
الْحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ التَّوَانِي فَيَنْبَغِي لِمَنْ بَلِيَ
بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظَ غَفْلَتَهُ بِإِدَامَةِ
النَّظَرِ فَقَدْ قِيلَ لَا يُدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ وَيَكْثُرُ
نَفْسُهُ وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَذَلَا يَصِيرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى الْعِلْمَ
مَغْنَمًا وَالْجَهْلَ مَغْرَمًا فَيَتَمَلَّحُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ
الْعِلْمِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَعْرَةَ الْجَهْلِ فَإِنْ نِيلَ الْعَظِيمُ بِأَمْرِ عَظِيمٍ
وَعَلَى قَدَرِ الرِّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ
التَّعَبُ وَقَدْ قِيلَ طَلَبُ الرَّاحَةِ قِلَّةُ الْإِسْتِرَاحَةِ وَرُبَّمَا
اسْتَنْقَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي
عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا
يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ
مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ الثِّقَةُ إِلَّا خَبَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا وَهَذِهِ حَالٌ
قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ مَا الضَّعْفُ مِنْ مُعَانَاةِ
الْحِفْظِ وَمُرَاعَاةِ وَطُولِ الْأَمَلِ فِي التَّوْفُرِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ
وَفَسَادِ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ الضُّجُورَ خَائِبٌ

وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمْلَ مَغْرُورٌ وَأَنَّ الْفَاسِدَ الرَّأْيَ مُصَابٌ.
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي
كُتُبِكَ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ

عَلَيْهِ مَعِيَ حَيْثُمَا يَمُوتُ يَنْفَعُنِي

قَلْبِي . عَالِمٌ لَهُ لَا بَطْنٌ صَدُّوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ

أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرُبَّمَا أَعْنَى الْمُتَعَلِّمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ

حَتَّى يَصِيرَ حَافِظًا لِلْأَفَافِ الْمَعَانِي قِيمًا بِتِلَاوَتِهَا وَهُوَ لَا

يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا أَتَتْهَا . يَرْوِي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ

خَبَرَةٍ . وَرُبَّمَا اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْفَلَ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ

فِي كُتُبِهِ ثِقَةً بِهَا اسْتَقَرَّ فِي ذَمِّهِ . وَهَذَا خَطَأٌ ثَمَنُهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ

مُعْتَرِضٌ وَالنِّسْبَانِ طَارِقٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ إِنَّ هَذِهِ

الْأَدَابَ نَوَافِرُ تَبْدُ عَنْ عَقْلِ الْأَذْهَانِ فَأَجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا

حُمَاةً . وَالْأَقْلَامَ لَهَا رُعَاةً

وَأَمَّا الشَّرْطُ الَّذِي يَتَوَقَّرُ بِهَا عِلْمُ الطَّالِبِ وَيَنْتَهِي مَعَهَا

كَمَالُ الرَّغْبِ . مَعَ مَا يُلَاحَظُ بِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ وَيَهْدِي بِهِ مِنَ

الْمَعُونَةِ فَتِسْعَةُ شُرُوطٍ

أَحَدُهَا الْعَقْلُ الَّذِي يُدْرِكُ بِهِ حَقَائِقَ الْأُمُورِ * وَالثَّانِي
الْفِطْنَةُ الَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا غَوَامِضَ الْعُلُومِ * وَالثَّلَاثُ الذِّكَاةُ
الَّذِي يَسْتَقِرُّ بِهِ حِفْظُ مَا تَصَوَّرَهُ وَفَهْمُ مَا عَلِمَهُ * وَالرَّابِعُ
الشَّهْوَةُ الَّتِي يَدُومُ بِهَا الطَّلَبُ وَلَا يُسْرَعُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ *
وَالْخَامِسُ الْإِكْتِفَاءُ بِمَا دَاةُ تُغْنِيهِ عَنْ كُلِّ الطَّلَبِ *
وَالسَّادِسُ الْفَرَاغُ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ التَّوَقُّرُ وَبِحَصْلِ بِهِ
الِاسْتِكْشَارُ * وَالسَّابِعُ عَدَمُ اتِّوَاجِعِ الْمَذْهَبَةِ مِنْ هُمُومٍ
وَأَمْرَاضٍ * وَالثَّامِنُ طَوْلُ الْعُمُرِ وَاتِّسَاعُ الْمُدَّةِ لِيَنْتَهِيَ
بِالِاسْتِكْشَارِ إِلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ * وَالتَّاسِعُ الظَّفَرُ بِعَالِمٍ
سَمِعَ يَعْلَمُهُ مُتَّانٍ فِي تَعْلِيمِهِ . فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ
التِّسْعَةَ فَهُوَ أَسْعَدُ طَالِبٍ وَأَشْجَحُ مُتَعَلِّمٍ . فَاحْفَظُوا بِاللهِ التَّوْفِيقُ

الفصل الثالث

فِي أَوَائِلِ الْعِلْمِ وَمَدَاخِلِهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْعُلُومِ أَوَائِلَ تُؤَدِّي إِلَى آخِرِهَا وَمَدَاخِلَ
تُفْضِي إِلَى حَقَائِقِهَا . فَلْيَبْتَدِئِ طَالِبُ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِهَا لِيَنْتَهِيَ إِلَى

أَوَّخَرَهَا وَبِمَدَاخِلِهَا لِيُفْضِيَ إِلَى حَتَائِجِهَا. وَلَا يَطْلُبُ إِلَّا خَيْرَ قَبْلِ
 الْأَوَّلِ. وَلَا الْحَقِيقَةَ قَبْلَ الْمَدْخَلِ. فَلَا يَدْرِكُ الْخَيْرَ وَلَا يَعْرِفُ
 الْحَقِيقَةَ لِأَنَّ أَلْبَنَاءَ عَلَى غَيْرِ اسِّ لَا يُبْنَى. وَالشَّجَرُ مِنْ غَيْرِ غَرْسٍ
 لَا يُجْنَى (من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الرابع

فِيَا يَجِبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ فِي وَجْهِ الصَّوَابِ فِي تَعْلِيمِ الْعُلُومِ وَطَرِيقِ إِفَادَتِهِ
 إِيَّاهُمْ أَنْ تَلْقِيَنَّ الْعُلُومَ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا
 كَانَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يُلْقِي عَلَيْهِ أَوَّلًا
 مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ أَلْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ وَيُقَرِّبُ
 لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَيُرَاعِي فِي ذَلِكَ قُوَّةَ عَقْلِهِ
 وَأَسْتَعْدَادَهُ لِقَبُولِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ أَلْفَنِّ وَعِنْدَ
 ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ
 وَغَايَتُهَا أَنَّهَا هَيَّأَتْهُ لَهُمْ أَلْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ
 إِلَى أَلْفَنِّ ثَانِيَةٍ فَيَرْفَعُهُ فِي أَلْفَنِّ عَنِ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى
 مِنْهَا وَيَسْتَوِي فِي الشَّرْحِ وَالْبَيَانِ وَيَخْرُجُ عَنِ الْإِجْمَالِ وَيَذْكُرُ
 لَهُ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ

أَلْفَنَ فَجَوْدُ مَلَكَتِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا وَلَا
 مُمْهًا وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ أَلْفَنٍ وَقَدْ
 اسْتَوَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا وَجْهَ التَّعْلِيمِ الْمُهَيِّدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ
 إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرُّرَاتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقْلٍ
 مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَخْلُقُ لَهُ وَيَتَبَسَّرُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا
 مِنَ الْمُعَلِّمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ
 وَإِفَادَتِهِ وَيَحْضُرُونَ الْمُتَعَلِّمَ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ
 مِنَ الْعِلْمِ وَيُطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهْنِهِ فِي حَالِهَا وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ
 مَرَانَةً عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيَكْلِفُونَهُ وَعَمَى ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ
 وَيَجْلُطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُلْقُونَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفُنُونِ فِي مَبَادِيهَا
 وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لَهَا فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالِاسْتِعْدَادَاتِ لَهَا
 تَنْشَأُ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ
 بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلَى وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْمَالِ
 وَبِالْأَمْثَالِ الْحُسْنِيَّةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا
 قَلِيلًا بِخُذْلَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ أَلْفَنٍ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالِاتِّقَالَ
 فِيهَا مِنَ التَّقْرِيبِ إِلَى الْأَسْتِعْيَابِ الَّذِي فَوْقَهُ حَتَّى تَنِمَّ الْمَلَكََةُ
 فِي الْإِسْتِعْدَادِ ثُمَّ فِي التَّحْصِيلِ وَبُحْبُطِهَا بِمَسَائِلِ أَلْفَنٍ وَإِذَا

الْقِيَتِ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَآءَاتِ وَهُوَ حَيْثُ عَاجَزَ عَنِ
الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدَ عَنِ الْأَسْتِعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذِيهِ عَنْهَا وَحَسِبَ
ذَلِكَ مِنْ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ
قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هَجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ
وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدَأًا
كَانَ أَوْ مُتَمِّيًا وَلَا يَخْطُطُ مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى بَعِيَهُ
مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَبِحُصْلِ اغْتِرَاضِهِ وَيَسْتَوْلِي مِنْهُ عَلَى مَلَكَتِهِ
بِهَا يَنْفِذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَتُهُ مَا فِي عِلْمٍ
مِنَ الْعُلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ
الْمَزِيدِ وَالنُّهُوضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى يَسْتَوْلِيَ عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ
وَإِذَا خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ عَجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلَالُ
وَأَنْطَمَسَ فِكْرُهُ وَبَيَّسَ مِنَ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوَّلَ عَلَى
الْمُعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْعَجَائِلِ وَتَقْطِيعِ مَا بَيْنَهَا
لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى التَّسْيَانِ وَتَقْطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ
بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ الْمَلَكَتِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ

الْعِلْمُ وَأَوَّخِرُهُ حَاضِرَةٌ عِنْدَ الْفِكْرَةِ مُجَابِيَةٌ لِلنِّسْيَانِ كَانَتْ
 الْمَلَكَتُ أَيْسَرُ حُصُولًا وَأَحْكَمُ ارْتِبَاطًا وَأَقْرَبُ صَبْغَةً لِأَنَّ
 الْمَلَكَاتِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تُنَوِّسِي
 الْفِعْلُ تُنَوِّسِيَتِ الْمَلَكَتُ النَّاشِئَةُ عَنْهُ وَاللَّهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَهُ تَكُونُوا
 تَعْلَمُونَ وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْمُسَيِّدَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي التَّعْلِيمِ
 أَنْ لَا يُنَاطَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ
 بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ أَلْبَالٍ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا إِلَى تَفْهَمِ الْآخَرِ فَيَسْتَغْلِثَانِ مَعًا وَيَسْتَصْعِبَانِ وَيَعْرُدُ مِنْهُمَا
 بِالْخَبِيَةِ وَإِذَا انْفَرَّخَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرٌ عَلَيْهِ
 فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِلتَّصْلِيلِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُتَوَفِّقُ
 لِلصُّوَابِ (عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في استعمال العلم

قَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ وَثَمَرَةُ
 الْعَمَلِ أَنْ يُوجَرَ عَلَيْهِ وَقِيلَ مِنْ تِمَامِ الْعِلْمِ اسْتِعْمَالُهُ وَمِنْ
 تِمَامِ الْعَمَلِ اسْتِفْلَاحُهُ فَمَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ رَشَادٍ

وَمَنْ أَسْتَقَلَّ عَمَلُهُ لَمْ يَقْصِرْ عَنْ مُرَادٍ. وَقَالَ أَبُو نَهَامٍ الطَّائِيُّ
 وَلَمْ يُحْمَدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ خَلَا قَاوَلًا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمٍ
 رَأَوْا طُرُقَاتٍ لِعَجْزٍ عَوْجًا فَطِيعَةً وَأَفْطَحَ غَجْزٍ عِنْدَهُمْ عَجْزٌ حَازِمٌ
 وَقِيلَ فِي مَشُورِ الْحَكَمِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ
 وَقِيلَ فِي مَشُورِ الْحَكَمِ أَيْضًا النَّارُ لَا يَنْقُصُهَا مَا أَخَذَ مِنْهَا وَلَكِنْ
 يُخْثِدُهَا أَنْ لَا تَجِدَ حَطْبًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يَنْفِيهِ إِلَّا قَسْبٌ وَلَكِنْ
 فَقَدْ أَلْحَمِلِينَ لَهُ سَبَبُ عَدَمِهِ. فَيَاكَ وَالْجَلَّ بِمَا تَعْلَمُ

الفصل السادس

فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُجْدِبَةِ بِهِمْ
 أَمَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي
 بِهِمُ الْيَقِينُ وَلَهُمُ الزُّمُّ فَالْتَوَاضَعُ وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ. لِأَنَّ التَّوَاضُعَ
 عَطُوفٌ وَالْعُجْبُ مَنَفَرَةٌ وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِالْعُلَمَاءِ أَفْجَى لِأَنَّ
 النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ. وَكَثِيرًا مَا يَدْخُلُهُمُ الْأَعْجَابُ لِتَوْحِيدِهِمْ
 بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ
 الْعِلْمِ لَكَانَ التَّوَاضَعُ بِهِمْ أَوْلَى وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ بِهِمْ أُخْرَى
 لِأَنَّ الْعُجْبَ تَقْصُّ نَبَا فِي الْفَضْلِ وَيَأْكُلُ الْحَمَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ

النَّارُ أَلْحَطَبَ فَلَا يَفِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ بِمَا لَحِقَهُمْ
 مِنْ نَقْصِ الْعُجْبِ * وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ
 وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعْلَمُونَ وَلْيَتَوَاضَعَ
 لَكُمْ مَنْ تَعْلَمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عَلَيْكُمْ
 بِجَهْلِكُمْ * وَقَالَ الشَّعْبِيُّ الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ أَشْبَارُ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شَيْئًا
 شَمِعَ بِأَنَفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ وَمَنْ نَالَ الشَّيْبَ الثَّانِي صَغُرَتْ
 إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنْلَهُ وَأَمَّا الشَّيْبُ الثَّالِثُ فَهِيَ هَاتِ لَا
 يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا

وَمِنْ أَوْضَحَ ذَلِكَ بَيَانًا أَسْتَعَاذَةُ الْجَاهِظِ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ
 حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ
 مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّكَاثُفِ لِمَا لَا نُحْسِنُ كَمَا
 نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعُجْبِ بِمَا نُحْسِنُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ السَّلَاطَةِ
 وَالْهَذَرِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْعِيِّ وَالْخَصَرِ * وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِيهِمَا لَا تَعْلَمُ بِكَلَامٍ مَنْ يَعْلَمُ
 فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَمَلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِمَا لَا تَفْهَمُ * وَلَقَدْ أَحْسَنَ
 زُرَّارَةُ بْنُ زَيْدٍ حَيْثُ يَقُولُ

إِذَا مَا أَتَيْتَ عَلِيَّ تَنَاهَيْتُ عَنْهُ أَطَالَ فَأَمَلِي أَوْ تَنَاهَيْتَ فَأَقْصَرَا

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرْءِ فَعِلُهُ

كَفَى الْفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مُخْبِرًا

وَقَالَ بَعْضُ الْأَبْلَغَاءِ مِنْ فَضْلِ عَلَيْكَ اسْتِقْلَالُكَ لِعِلْمِكَ
وَمِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ اسْتَظْهَارُكَ عَلَى عَقْلِكَ . وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ
أَنْ يَجْهَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ عِلْمِهَا وَلَا يَتَجَاوَزَ بِهَا قَدْرَ حَقِّهَا وَلَا أَنْ
يَكُونَ بِهَا مَقْصِرًا فَيُذْعِنَ بِالِاتِّعَادِ أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ بِهَا
مُجَاوِزًا فَيَكْفُفَ عَنِ الْإِزْدِيَادِ لِأَنَّ مَنْ جَهَلَ حَالَ نَفْسِهِ كَانَ
لِغَيْرِهَا أَجْهَلَ * وَقَدْ قَسَمَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَحْوَالَ النَّاسِ
فِيهِمَا عِلْمُوهُ أَوْ جَهْلُوهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ مُتَقَابِلَةٍ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ
مِنْهَا . فَقَالَ الرَّجَالُ أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ عَالِمٌ فَاسْأَلُوهُ . وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ نَاسٍ فَذَكِّرُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي
فَذَلِكَ مُسْتَرْشِدٌ فَارْشِدُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ
لَا يَدْرِي فَذَلِكَ جَاهِلٌ فَارْضُوهُ * وَأَنْشَدَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَمْدِيُّ

إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَمْ تَكُ بِالَّذِي

يُسَائِلُ مَنْ يَدْرِي فَكَيْفَ إِذَنْ تَدْرِي

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الباب الثاني

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في أركان الكتابة

إِعلمَ أَنَّ أَرْكَانَ الْكِتَابَةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاتِهَا فِي كُلِّ كِتَابٍ بِلَاغِيٍّ ذِي شَأْنٍ ثَلَاثَةٌ

الْأَوَّلُ أَنَّ يَكُونَ مَطْلَعُ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حِدَّةٌ وَرَشَاقَةٌ فَإِنَّ الْكَاتِبَ مَنْ أَجَادَ الْمَطْلِعَ وَالْمَقْطَعَ. أَوْ يَكُونَ مَبْنِئًا عَلَى مَقْصَدِ الْكِتَابِ وَلِهَذَا بَابٌ يُسَمَّى بَابَ الْمَبَادِي وَالْإِفْتِخَاتِ^(١) فَلْيُحْذَرْ حَذْوُهُ وَهَذَا الرُّكْنُ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ

الرُّكْنُ الثَّانِي أَنَّ يَكُونَ خُرُوجُ الْكَاتِبِ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى بِرَابِطَةٍ لِيَكُونَ رِقَابُ الْمَعْنَى أَخِذًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَلَا تَكُونَ مُقْتَضِبَةً وَلِذَلِكَ بَابٌ مُفْرَدٌ أَيْضًا يُسَمَّى بَابَ التَّخْلِصِ وَالْإِقْتِضَابِ^(٢). وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ

١ انظر الفصل الثامن من هذا الباب ٢ انظر الفصل التاسع

من هذا الباب

الرُّكْنُ الثَّلَاثُ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُ الْكِتَابِ غَيْرَ مُخْلَقَةٍ
 بِكَثْرَةِ الْأَسْتِعْمَالِ . وَلَا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظًا غَرِيبَةً
 فَإِنَّ ذَلِكَ عَيْبٌ فَاحِشٌ بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُ الْمُسْتَعْمَلَةِ
 مَسْبُوكَةً سَبْكًَا غَرِيبًا يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّهَا غَيْرُ مَا فِي أَيْدِي
 النَّاسِ وَهِيَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ . وَهَنَّاكَ مُعْتَرِكُ النَّصَاحَةِ
 الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بِرَاعَتِهَا وَالْأَقْلَامُ شَجَاعَتِهَا كَمَا
 قَالَ الْبُخْتَرِيُّ

بِالْلَّفْظِ يَقْرُبُ فَرَسُهُ فِي بُعْدِهِ عَنَّا وَبَعْدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ بَعِيدُ الْمَنَالِ كَثِيرُ الْأَشْكَالِ يَخْتِاجُ إِلَى لُطْفِ
 ذَوْقٍ وَشَهَامَةٍ خَاطِرٍ وَهُوسِيَّةٍ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ لَا
 دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ . فَلَفْظُهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ
 وَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْتَعْمَلُ أَيُّ إِنْ مُفْرَدَاتِ أَلْفَاظِهِ هِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ
 الْمَأْلُوفَةُ وَلَكِنَّ سَبْكَهُ وَتَرْكِيبَهُ هُوَ الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ . وَإِذَا
 سَمِعْتَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَأَسْتَطَعْتَ طَعْمَ
 هَذَا الْكَلَامِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ عَلِمْتَ حَبِثَ أَنَّ كَالرُّوحِ السَّائِكَةِ
 فِي بَدَنِكَ أَلَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَلَيْسَ
 كُلُّ خَاطِرٍ بِرَاقٍ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَنْظُرْ أَيُّهَا
النَّاظِرُ فِي كِتَابِي أَنِّي أَرَدْتُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِهْمَالَ جَانِبِ الْمَعْنَى
بِحَيْثُ يُؤْتَى بِاللَّفْظِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْمَلَاحَةِ وَلَا
يَكُونُ نَحْوَهُ مِنَ الْمَعْنَى مَا يُمِثِّلُهُ وَيُسَاوِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
كَانَ كَصُورَةِ حَسَنَةٍ بَدِيعَةٍ فِي حُسْنِهَا إِلَّا أَنَّ صَاحِبَهَا بَلِيدٌ
أَبْلَهٌ . وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالسَّاعِرُ
(انتهى عن المثل السائر بعض تصرف)

الفصل الثاني

في أدوات الكتابة

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ
طَلَبِ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ فَمَنْعُكَ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا يُعْتَمَدُ
عَلَيْهِ وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَمِنْ نَوَادِرِ
الْكَلَامِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ
وَالْأَسْمَاءِ مَا يَتَسَّخَّرُ بِهِ مِنْطِقُكَ وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ . وَانْظُرْ فِي
كُتُبِ الْمَقَامَاتِ وَالْخُطَبِ وَمُجَاوَبَةِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ
وَأَمْثَالِ الْفَرَسِ وَرَسَائِلِهِمْ وَعَهْودِهِمْ وَسِيَرِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ

وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَسِّطًا عَلَيْهِمُ النَّحْوُ
وَالْغَرِيبُ وَكُتُبُ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ لِتَكُونَ مَاهِرًا تَنْزِعُ
أَيَّ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا وَأَخِلَافَ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِينِهَا
وَقَرَضَ الشَّعْرِ الْحَيِّدِ وَعِلْمَ الْعُرُوضِ فَإِنَّ تَضْمِينَ الْمَثَلِ
السَّائِرِ وَالْبَيْتِ الْغَائِرِ الْبَارِعِ مِمَّا يَزِينُ كِتَابَكَ مَا لَمْ تُخَاطِبْ
خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا جَلِيلَ الْقَدْرِ فَإِنَّ أَجْنَلَابَ الشَّعْرِ فِي كُتُبِ
الْخُلَفَاءِ عَيْبٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْفَارِضُ لِلشَّعْرِ
وَالصَّانِعُ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي أَهْنِهِ

وَإِذَا اخْتَبْتَ إِلَى مُخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَءِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْكَتَّابِ وَالْمُخْطَبَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَأَوْسَاطِ النَّاسِ
وَسُوقَتِهِمْ فَمُخَاطَبُ كُلِّ عَلَى قَدْرِ أَهْنِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ
وَأَرْفَاعِهِ وَفُطْنَتِهِ وَاتِّبَاهِهِ وَتَخَيُّرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْجَحُهَا لِنَظْمًا
وَأَجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَأَلْيَهَا فِي مَكَانِهَا
وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ حَاوَلْتَ صَنْعَ رِسَالَةٍ فَرِنِ اللَّفْظَةَ
قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِمِيزَانِ النَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضَتْ وَعَايِرِ الْكَلِمَةِ
بِمَعْيَارِهَا إِذَا سَخَتْ فَإِنَّهُ رَبَّمَا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرَجُ
الْكَلَامِ فِيهِ إِذَا كَتَبْتَ أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ أَنَا

أَفْعَلُ وَمَوْضِعٌ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ اسْتَفْعَلْتُ أَحْلَى مِنْ فَعَلْتُ .
 فَأَدِرُ الْكَلَامَ عَلَى أَعْكَائِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ فَأَيُّ لَفْظَةٍ
 رَأَيْتَهَا لَا تَقَعُ بِالْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَأَنْزَعَهَا إِلَى الْمَكَانِ
 الَّذِي أَرَدْتَهَا لَهُ وَأَوْقَعَهَا فِيهِ وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلْقَةً فِي
 مَوْضِعِهَا نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَبَّتِ الْمَوْضِعَ
 الَّذِي حَاوَلْتَ تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ
 إِصْلَاحَهُ . فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَادِ فِي غَيْرِ أَمَاكِينِهَا وَقَصْدَكَ بِهَا
 إِلَى غَيْرِ مَصَابِيهَا إِنَّمَا هُوَ كَثَرُ قَبْحِ الثُّوبِ الَّذِي لَمْ تُشَابِهْهُ
 رِفَاعُهُ وَلَمْ تُتَقَارَبْ أَجْزَاؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَّةِ وَتَغَيَّرَ
 حُسْنُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ
 يُبِينُ النَّاسِ أَنَّ الثُّوبَ مَرْفُوعُ
 كَذَلِكَ كُلُّهَا أَحْلَوَى الْكَلَامُ وَعَذَبَ وَرَاقَ وَسَهَلَتْ
 مَخَارِجُهُ كَانَ أَسْهَلَ وَلَوْجًا فِي الْأَسْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ
 وَأَخَفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرَجِّمًا
 بِلَفْظٍ مُؤَنَّقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايِرٍ ابْكِتَامٍ عَذَبٍ لَمْ يَسِمَهُ التَّكْلِيفُ
 بِمِيسَمِهِ وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِاسْتِهْلَاكِهِ

وَقَدْ رَأَيْتَهُمْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ وَاللَّفْظَ
الظَّاهِرَ بِالْجَسَمَانِ الظَّاهِرِ وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْحَزَلِ لَفْظًا شَرِيفًا جَزَلَ لَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا النِّظَامُ
مُتَّسِقًا وَتَضَاعَلِ الْمَعْنَى الْحَسَنُ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَاعُلِ
الْحُسْنَاءِ فِي الْأَطْمَارِ الرَّثِيَّةِ (انتهى ملخصاً عن العقد الجديد)

الفصل الثالث

في الصِّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَهِيَ قِسْمَانِ

القسم الأول

في اللفظة المفردة

إِعْلَمُ أَنَّهُ بِمَجْنَاجِ صَاحِبِ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ فِي تَأْلِيْفِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ
أَشْيَاءَ. الْأَوَّلُ مِنْهَا اخْتِيَارُ الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ وَحُكْمُ ذَلِكَ
حُكْمُ اللَّائِي الْمَبْدَدَةِ فَإِنَّهَا تُنْخَبِرُ وَتُسْتَقْبَلُ قَبْلَ الظُّمِّ. الثَّانِي
نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ اخْتِيَارِهَا فِي الْمَشَاكِلَةِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ الْكَلَامُ
قَلْبًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ الْعَقْدِ الْمَنْظُومِ فِي
اِقْتِرَانِ كُلِّ لَوْوَةٍ مِنْهُ بِاخْتِيَارِ الْمَشَاكِلَةِ لَهَا. الثَّلَاثُ الْغَرَضُ

الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمُ
 ذَلِكَ حُكْمُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْعَقْدُ الْمَنْظُومُ قِتَارَةً
 يُجْعَلُ اكْتِلَابًا عَلَى الرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ قِلَادَةً فِي الْعُنُقِ وَتَارَةً
 يُجْعَلُ شَتْفًا فِي الْأُذُنِ وَلكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ
 مِنَ الْحُسْنِ تَخْصُهُ. فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ
 مِنَ الْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ الْأَصْلُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْيِيفِ الْكَلَامِ
 مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ. فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ
 هُمَا الْمُرَادُ بِالْفَصَاحَةِ وَالثَّلَاثَةُ بِجَمَلَتَيْهَا هِيَ الْمُرَادُ بِالْبَلَاغَةِ.
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُضِلُّ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ الْعُلَمَاءُ بِصِنَاعَةِ صَوْغِ
 الْكَلَامِ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَكَثِيفَ الْجَهَالِ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعَهُمْ
 رَاحَتُهُ. وَمَنْ الَّذِي يُؤْتِيهِ اللَّهُ فِطْرَةً نَاصِعَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ
 وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَسْرَارِ مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنْ
 الْأَلْفَافِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا

وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْفَافِ الْمُمَرَّدَةِ
 خَصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ تَنْصِفُ بِهَا وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ
 أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخُوِّفَ فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَحَ الْآخَرُ شَيْئًا فَخُوِّفَ
 فِيهِ. وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى السِّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ

أَلَا لَفَاطٍ بِأَلْحَسَنِ وَبَعْضُهَا بِأَلْفُجٍّ لَمَّا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا. وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ مِنْ مُقَدِّمَةِ كِتَابِي هَذَا الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْفَصَاحَةِ (١) وَفِي الْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَالْإِحَاطَةِ بِهِ غَنًى عَنْ غَيْرِهِ. وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا تَفْصِيلاً لَمَّا أَجْمَلْنَاهُ هُنَاكَ لِأَنَّا ذَكَّرْنَا فِي ذَلِكَ الْفَصْلِ أَنَّ أَلَا لَفَاطَ دَاخِلَةً فِي حَيْزِ الْأَصْوَاتِ لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَلَدَّهُ السَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ الْحَسَنُ وَمَا كَرِهَهُ وَنَبَا عَنْهُ فَهُوَ الْفُجُّ. وَإِذَا ثَبِتَ ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا ذَكَرْنَا مِنْ تِلْكَ الْخَصَائِصِ وَالْهَيْئَاتِ الَّتِي أوردَهَا عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي كُتُبِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ لَدِيدًا فِي السَّمْعِ كَارَةً حَسَنًا وَإِذَا كَانَ حَسَنًا دَخَلَتْ تِلْكَ الْخَصَائِصُ وَالْهَيْئَاتُ فِي ضَمَنِ حُسْنِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ كُلُّ الْأَلْفَاظِ حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغُصْنِ وَلَفْظَةِ الْعُسُوجِ وَيَبْنِي لَفْظَةً

الْمُدَامَةِ وَلَفْظَةُ الْإِسْفِنِطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ السِّيفِ وَلَفْظَةِ الْخَنْسَالِيلِ
وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدَوْكِسِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ
بِخُطَابٍ وَلَا بِجَوَابٍ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيََتْ هُنَاكَ أَوْصَافُ آخَرٍ يَنْبَغِي أَنْ يُنَبَّهَ عَلَيْهَا.
فَمِنْهَا أَنْ لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً. وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى
جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَسَمِّينَ إِلَى صِنَاعَةِ النَّظْمِ وَالنَّارِ وَطَنُوهُ الْمُسْتَفْجِ
مِنْ الْأَلْفَاظِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا
غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ قَبِيحٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى
اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْقَفَارَ وَلَيْسَ بِأَنْيَسٍ وَكَذَلِكَ
الْأَلْفَاظُ أَتَتْ لَمْ تَكُنْ مَأْنُوسَةً لِاسْتِعْمَالِ. وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ
الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَفْجًا بَلْ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلَفُ الْإِنْسَ
فَتَارَةً يَكُونُ حَسَنًا وَتَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا. وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ أَحَدَ قِسْمَيْ
الْوَحْشِيِّ وَهُوَ الْغَرِيبُ الْحَسَنُ يُخْتَلَفُ بِأَخْتِلَافِ النَّسَبِ
وَالْإِضَافَاتِ. وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْوَحْشِيِّ الَّذِي هُوَ قَبِيحٌ
فَإِنَّ النَّاسَ فِي اسْتِقْبَاحِهِ سَوَاءٌ وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بِأَدٍ وَلَا
قُرُوبِيٌّ مُتَخَصِّرٌ. وَأَحْسَنُ الْأَلْفَاظِ مَا كَانَ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا إِلَّا لِمَكَانٍ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى

ذَلِكَ فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ^(١). فَإِنَّ أَرْبَابَ الْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ
نَظَرُوا إِلَى الْأَلْفَاظِ وَتَقَبَّلُوا عَنْهَا ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى الْأَحْسَنِ مِنْهَا
فَأَسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتْ فِي دَرَجَاتٍ
حُسْنِهِ فَأَلْفَاظُهُ إِذْنٌ تَنْتَسِمُ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ فِئَمَانِ حَسَنَانِ
وَقِسْمٌ قَبِيحٌ. فَأَلْفِئَمَانِ الْبِئْسَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مِنَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُطْلَقُ
عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ. وَالْآخَرُ مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ دُونَ
الْآخِرِ وَيَخْتَلِفُ فِي اسْتِعْمَالِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّمَنِ وَأَهْلِهِ وَهَذَا
هُوَ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ
وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ. وَقَدْ تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْهُ
كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا غَرِيبُ الْقُرْآنِ.
وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ
عَلَيْهِ غَرِيبُ الْحَدِيثِ

وَلَا يَسْبِقُ وَهْمُكَ أَيُّهَا الْمَتَأَمِّلُ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ الَّذِي
غَلَبَ عَلَيْهِ غِلَظُ الطَّبَعِ وَفُجَاعَةُ الذِّهْنِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ
تَسْتَعْمِلُ مِنَ الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا فَبِذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ بَلْ

يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي نَسَخَسْنَاهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هَذَا هُوَ
الَّذِي كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مُسْتَحْسَنًا وَالَّذِي نَسْتَفْجِيهِ هُوَ الَّذِي
كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَفْجَاً. وَالِاسْتِعْمَالُ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى الْحُسْنِ
فَإِنَّا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ الْآنَ مِنْ الْكَلَامِ مَا لَيْسَ بِحَسَنِ وَإِنَّمَا
نَسْتَعْمِلُهُ لِضَرُورَةٍ فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ الْحُسْنِ بِمُمْكِنٍ فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ. وَهَذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ الْعَارِفِ بِهِ سَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ
يَعْرِفْ صِنَاعَةَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنَ الْكُلْفَةِ فِي
صَوْغِ الْأَلْفَاظِ وَاخْتِيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يَكَايِدُهُ وَلَا الْعِصَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا
وَمَعَ هَذَا فَإِنْ قَوْلُ الْفَائِلِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنْ
الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا
يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ فَإِنْ اسْتَحْسَنَ الْأَلْفَاظَ وَاسْتَبَاحَهَا لَا
يُؤْخَذُ بِالتَّقْلِيدِ مِنَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ
وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصٌ وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وُجِدَتْ
عُلِمَ حُسْنُهُ مِنْ قُبَيْهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ
الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ. وَأَمَّا الَّذِي تَقْلِدُ الْعَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَإِنَّمَا هُوَ الْاسْتِشْهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يُنْقَلُ مِنْ لُغَتِهَا وَلَا اخْذُ

بِأَقْوَالِهَا فِي الْأَوَضَاعِ النُّحْوِيَّةِ فِي رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ
الْمَفْعُولِ وَجَرِّ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ الشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ
وَمَا عَدَاهُ فَلَا وَحُسْنُ الْأَلْفَاظِ وَقَبْجُهَا لَيْسَ إِضَافِيًّا إِلَى زَيْدٍ
دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصَفَ ذَوَوِيَّ لَا
يَتَغَيَّرُ بِالْإِضَافَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ الْمَرْئَةِ مِثْلًا حَسَنَةً عِنْدَ
النَّاسِ كَافَّةً مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا لَا يَخْلِفُ أَحَدٌ فِي
حُسْنِهَا. وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَاقِ فَإِنَّهَا قَبِيحَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَافَّةً
مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا الْعَرَبُ لَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ
إِيَّاهَا خُرْجًا لَهَا عَنِ الْقُبْحِ وَلَا يُلْتَمِزُ إِذْنٌ إِلَى اسْتِعْمَالِهِمْ
إِيَّاهَا بَلْ بَعَابٌ اسْتَعْمَلُهَا وَيُذَلِّظُ لَهُ التَّكْبِيرُ حَيْثُ اسْتَعْمَلُهَا
فَلَا تَنْظُرُ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ
وَيَقُولُ عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَإِنَّهَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقُولُ
اسْتَعْمَلْهُ فَتَارَةً يَخْفُ عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةً يَقُولُ
عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ الْكَرَاهَةَ. وَذَلِكَ فِي اللَّفْظِ عَيْنَانِ أَحَدُهُمَا
أَنَّهُ غَرِيبٌ لَا اسْتِعْمَالَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ
عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى
فَظَاطِنِهِ وَغِلَاطِنِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْوَحْشِيَّ الْغَلِيظَ وَيُسَمَّى

أَيْضًا الْمَتَوَعَّرَ وَلَيْسَ وَرَأَاهُ فِي أَفْجٍ دَرَجَةٍ أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ
 إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ مِنْهُمْ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِهِ شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا
 الْفَنِّ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ فَمَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَاظِ. قُلْتُ قَدْ
 ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ النُّطْقُ بِهِ.
 وَسَا ضَرْبُ لَكَ فِي ذَلِكَ مِثَالًا فِيهِ مَا وَرَدَ لَنَا بَطَّ شَرًّا فِي
 كِتَابِ الْخَمَاسَةِ

بَطَّ بِمَوَاقِفٍ وَيُسَمَّى بِغَيْرِهَا

جَحِيشًا وَيَعْرَوْرِي ظُهُورُ الْمَسَالِكِ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَحِيشٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ. وَيَا لِلَّهِ
 الْعَجَبُ أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى فَرِيدٍ وَقَرِيدٍ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ وَلَوْ
 وَضِعَتْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَهَا اخْتِلَافٌ شَيْءٌ مِنْ وَرْنِهِ.
 فَتَبَّطَّ شَرًّا مَلُومٌ مِنْ وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ
 اسْتَعْمَلَ الْفَجْجَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَدْوَحَةٌ عَنِ اسْتِعْمَالِهِ
 فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ. وَمِمَّا هُوَ أَفْجٍ مِنْهَا مَا وَرَدَ لِابْنِ تِمَامٍ قَوْلُهُ
 قَدْ قُلْتُ لَهَا أَطْلَحَمَ الْأَمْرُ وَأَنْبَعَثَتْ

عَشَوَاءُ تَالِيَةٍ غُبَسًا دَهَارِيسًا

فَلَفْظَةُ أَطْلَحَمَ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي جَمَعَتِ الْوَصْفَيْنِ

الْقَسِيمِينَ فِي أَنفَاءِ غَرِيْبَةٍ وَأَنفَاءِ غَلِيْظَةٍ فِي السَّمْعِ كَرِيْبَةٍ عَلَى
 الذَّوْقِ . وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ دَهَارِيسَ أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ
 مِنْ آيَاتٍ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ جُهْلَتِهَا
 نِعَمَ مَنَاعِ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرْوَعُ لَا جِدْرَ وَلَا جِسْرُ
 فَلَفْظَةُ جِدْرٍ غَلِيْظَةٌ . وَأَغْلَظُ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْهَمَزِيُّ
 جَفَّتْ وَثَمٌ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ

شِيمٌ عَلَى الْحَسَبِ الْأَعْرَدِ نِيلُ
 فَإِنَّ لَفْظَةَ جَفَخَ مُرَّةُ الطَّعْمِ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَقْشَعَرُ
 مِنْهَا وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَأَسْتَعْمَالِ تَابَطَ شَرًّا أَنْفَاءً
 جَحِيْشٍ . فَإِنَّ تَابَطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَدْرُوحَةٌ عَنِ اسْتِعْمَالِ
 نِلِكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِيهَا تَقَدَّمَ وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ
 فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ جَفَخَتْ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَخَرَتْ
 وَالْجَفَخُ الْفَخْرُ يُقَالُ جَفَخَ فُلَانٌ إِذَا فَخَرَ وَلَوْ اسْتَعْمَلَ عِوَضًا
 عَنْ جَفَخَتْ فَخَرَتْ لَأَسْتَقَامَ وَزُنُ الْبَيْتِ وَحَظِي فِي اسْتِعْمَالِهِ
 بِالْأَحْسَنِ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَأَمْثَالُهُ عَلَى مِثْلِ هُوَ لَاءُ
 الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ
 الْأَلْفَاظِ هُوَ الْوَحْشِيُّ الْغَلِيْظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي قُبْحِهِ

وَكَرَاهَتِهِ وَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَرَدْنَاهُ. وَالْعَرَبُ إِذَنْ
لَا تُلَامُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ أَحْسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا
تُلَامُ عَلَى الْغَرِيبِ الْقَبِيحِ وَأَمَّا الْمُخَضَّرِيُّ فَإِنَّهُ يُلَامُ عَلَى
اسْتِعْمَالِ الْقِسْمَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً مِنْهُ فِي
الْآخَرِ

(عن المثل السائر)

الَّتِي هِيَ الثَّانِي

فِي الْكَلَامِ

فَدَرَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ مُدَّعِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ
الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ وَيَعْدُ مَتَنَاوِلُهُ وَإِذَا رَأَوْا
كَلَامًا وَحَشِيًّا غَامِضَ الْأَلْفَاظِ يُعْجِبُونَ بِهِ وَيَصِفُونَهُ بِالْفَصَاحَةِ
وَهُوَ بِالضِدِّ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ
لَا الْغُمُوضُ وَالْخَفَاءُ. وَسَائِبِي لَكَ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ فَأَقُولُ الْأَلْفَاظُ تَنْقَسِمُ فِي الْأَسْتِعْمَالِ إِلَى جَزَلَةٍ
وَرَفِيقَةٍ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ يُحْسَنُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ. فَأَلْجِزُ
مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْخُرُوبِ وَفِي قَوَارِعِ
الْتِهَادِ وَالْخَوْفِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الرَّفِيقُ مِنْهَا فَإِنَّهُ

يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ الْأَشْوَاقِ وَذِكْرِ أَيَّامِ الْعِبَادِ وَفِي اسْتِجْلَابِ
 الْمَوَدَّاتِ وَمُلَايَنَاتِ الْأَسْتَعْطَافِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ . وَلَسْتُ
 أَغْنِي بِأَنْجَزٍ مِنَ الْأَلْفَافِ أَنْ يَكُونَ وَحْشِيًّا مُتَوَعِّرًا عَلَيْهِ
 غُجْهِةُ الْبِدَاوَةِ بَلْ أَغْنِي بِأَنْجَزٍ أَنْ يَكُونَ مَتِينًا عَلَى عَذُوبَتِهِ
 فِي أَلَمٍ وَلَذَائِثِهِ فِي السَّمْعِ . وَكَذَلِكَ لَسْتُ أَغْنِي بِالرَّقِيقِ
 أَنْ يَكُونَ رَكِيكًا سَفْسَافًا وَإِنَّهَا هُوَ اللَّطِيفُ الرَّقِيقُ الْحَاشِيَةُ
 النَّاعِمُ الْمَلْبَسُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَامٍ

نَاعِمَاتُ الْأَطْرَافِ لَوْ أَنَّهَا تَأْتِي بَسُ أَغْنَتْ عَنِ الْمَلَأِ الرَّقَاقِ
 وَسَأُضْرِبُ لَكَ مِثَالًا لِلْجَزْلِ مِنَ الْأَلْفَافِ وَالرَّقِيقِ فَأَقُولُ
 أَنْظِرْ إِلَى قَوَارِعِ الْقُرْآنِ عِنْدَ ذِكْرِ الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ
 وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَعِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَفَارِقَةِ الدُّنْيَا وَمَا
 جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَحْشِيًّا
 الْأَلْفَافِ وَلَا مُتَوَعِّرًا . ثُمَّ أَنْظِرْ إِلَى ذِكْرِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ
 وَالْمَغْفِرَةِ وَالْمَلَاطَفَاتِ فِي خِطَابِ الْأَنْبِيَاءِ وَخِطَابِ
 الْمُنِيِّينَ وَالنَّائِبِينَ مِنَ الْعِبَادِ وَمَا جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ
 لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ضَعِيفَ الْأَلْفَافِ وَلَا سَفْسَافًا . فَمِثَالُ
 الْأَوَّلِ وَهُوَ أَنْجَزُ مِنَ الْأَلْفَافِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ
ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۚ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
بِنُورٍ رَبَّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۚ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۚ
فِيلَ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَيْسَ مَثْوًى
لِالْمُتَكَبِّرِينَ ۚ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاءَهُمْ وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ ۚ فَنَأْمِلُ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُبِينَةَ ذَكَرَ الْمُحْشَرِ عَلَىٰ
تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ وَذَكَرَ النَّارَ وَالْجَنَّةَ وَأَنْظَرَ هَلْ فِيهَا لَفْظَةٌ
إِلَّا وَهِيَ سَهْلَةٌ مُسْتَعْدَّةٌ عَلَىٰ مَا بَيَّاهُم مِنَ الْجَزَالَةِ ۚ وَكَذَلِكَ وَرَدَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهَا شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. وَأَمَّا ثَالُثُ الثَّانِي وَهُوَ الرَّفِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَمَوْلهُ تَعَالَى فِي مَخَاطِبَةِ النَّبِيِّ وَالنَّضْحِيِّ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا مَا
وَدَّكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي تَرْغِيبِ الْمَسْئَلَةِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ. وَهَكَذَا تَرَىٰ سَبِيلَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كَلَامِ هَذَيْنِ الْحَمَلَيْنِ مِنَ التَّجْزِئَةِ وَالرَّقْعَةِ.
وَكَذَلِكَ كَلَامُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مِمَّا وَرَدَ
عَنْهَا نَثْرًا وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كَلَامُ قَبِيصَةَ بْنِ نُعَيْمٍ لَمَّا قَدِمَ
عَلَىٰ أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي أَشْيَاحِ ابْنِي أَسَدٍ يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ عَنْ
دَمِ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ فِي الْحَلِّ وَالْقَدْرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ وَتَنْتَقِلُ بِهِ أَحْوَالُهُ بِحَيْثُ لَا
تُحْتَاجُ إِلَىٰ تَذَكِيرٍ مِنْ وَاعِظٍ وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مُجَرِّبٍ. وَلَكَ مِنْ
سُودِدِ مَنْصِيكَ وَشَرَفِ أَعْرَافِكَ وَكَرَمِ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ
مُحَدِّدٌ بِجَنَهِلٍ مَا حِيلَ عَلَيْهِ مِنْ إِفَالَةِ الْعَثَرَةِ وَالرُّجُوعِ عَنِ
الْهَفْوَةِ وَلَا تَجَاوِزُ الْهَمَمِ إِلَىٰ غَايَةِ الْإِرْجَعَتِ إِلَيْكَ فَوَجَدَتْ

عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ وَكَرَمِ الصَّغْمِ مَا
يَطُولُ رَغْبَاتِهَا وَيَسْتَعْرِقُ طَلِبَاتِهَا. وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنْ
الْمُخْطَبِ الْحَبِيلِ الَّذِي عَمَّتْ رَزِيئَتُهُ نِزَارًا وَالْيَمَنَ وَلَمْ
تُخْصَصْ بِذَلِكَ كِنْدَةُ دُونَنَا لِلشَّرَفِ الْبَارِعِ الَّذِي كَانَ لِحُجْرِ
وَأَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِالْأَنْفُسِ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا بَخَلْتَ أَكَارِمُنَا
بِهَا عَلَى مِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا تَرْجِعُ أَخْرَادُهُ إِلَى أَوْلَاهُ
وَلَا يَلْحَقُ أَفْصَاهُ أَذْنَاهُ. فَأَحْمَدُ الْحَالَاتِ فِي ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ
الْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالِ ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تَخْتَارَ مِنْ
بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ صَوْتًا فَتَقْوَدَهُ
إِلَيْكَ بِنِسْعِهِ تَذْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقٍ قَصَرَتْهُ
فَتَقُولُ رَجُلٌ أَمْتَحِنَ بِهَا لِكَ عَزِيزٍ فَلَمْ يَسْتَلْ سَخِيمَتَهُ إِلَّا بِمَكْنِيهِ
مِنَ الْإِنْتِقَامِ. وَإِمَّا فِدَاءٌ بِهَا بِرُوحٍ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعْمَتِهَا
فَهِيَ الْوَفْءُ مُجَاوِزُ الْخَمْسَةِ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِدَاءً تَرْجِعُ بِهِ
الْقَضْبُ إِلَى أَجْفَانِهَا. وَإِمَّا أَنْ تُوَادِعَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلُ
فَتَسْدِلُ الْأُزُرَ وَتَعْقِدَ الْخُمُرَ فَوْقَ الرِّيَاسِ. قَالَ فَبِكِي سَاعَةً
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفُوَ لِحُجْرِ فِي
دَمٍ وَإِنِّي لَنْ أَعْنَاضَ جَمَلًا وَلَا نَاقَةً فَأَكْتَسِبَ بِهِ سَبَّةً أَلَا بَدِ

وَفَتَّ الْعَصْدُ. وَأَمَّا النَّظَرُ فَقَدْ أُوجِبَتْهَا الْأَجِنَّةُ فِي بَطُونِ
 أَمْهَاتِهَا وَلَنْ أَكُونَ لِعَاطِيهَا سَبَبًا وَتَسْتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةَ
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقًّا وَفَوْقَ الْأَسِنَّةِ عَلَقًا
 إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ فِي مَازِقِ

نُصَاحٍ فِيهِ الْمَنَايَا النُّفُوسَا
 أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ. قَالُوا بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْأَخْيَارِ
 وَأَبْلَى الْأَجْتِرَارِ بِمَكْرِهِ وَأَذِيَّةِ وَحَرْبِ وَبَلِيَّةِ. ثُمَّ نَهَضُوا
 عَنْهُ وَقَبِيصَةٌ يَتَمَثَّلُ

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْحِمَ الْوَرْدَ إِنْ عَدَتْ
 كُنَائِنُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تَهْطُرُ

فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ أَسْتَعْذِبُهُ فَرُودًا يَنْفَرُجُ
 لَكَ دُجَاهًا مِنْ فُرْسَانِ كِنْدَةَ وَكُنَائِبِ حَمِيرٍ وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ
 غَيْرِ هَذَا بَيِّنًا أَوْ لَى إِذْ كُنْتَ نَارًا لِبَرْنَعِي وَلِكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجِبْتَ
 فَلْنَنْظُرْ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ قَبِيصَةٌ وَأَمْرِي الْقَيْسِ
 حَتَّى يَدْعَ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ فِي اسْتِعْمَالِ الْوَحْشِيِّ مِنَ
 الْأَلْفَافِ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ قَبْلَ
 الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ

وَاِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ سَاكِنٍ فِي الْفَلَاةِ لَا يَرَى إِلَّا شَيْعَةً
أَوْ قَبْصُومَةً وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا فَمَا بَالُ قَوْمٍ
سَكَنُوا الْمُحَضَرَ وَوَجَدُوا رَقَةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطَوْنَ وَحَشِيَّ الْأَلْفَاطِ
وَشَظَفَ الْعِبَارَاتِ وَمَا يُخْلِدُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا أَمَّا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ
الْفَصَاحَةِ وَإِمَّا عَاجِزٌ عَنْ سُلُوكِ طَرِيقِهَا . فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ
مِمَّنْ شَدَا شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ بِمَكْنِهِ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَحْشِيِّ
مِنْ الْكَلَامِ وَذَاكَ أَنَّهُ يَلْتَقِطُهُ مِنْ كُنْبِ اللُّغَةِ أَوْ يَلْتَقِفُهُ
مِنْ أَرْبَابِهَا . وَأَمَّا الْفَصِيحُ الْمُتَصِفُ بِصِفَةِ الْمَلَاحِقِ فَإِنَّهُ لَا
يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَمَا عَلِمَ أَهْلُ بَيْتِهِ فِي تَأْلِيفِهِ
وَسَبْكِهِ فَإِنْ مَارَى فِي ذَلِكَ مَهَارًا فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ
الْأَدَبِ مِمَّنْ كَانَ مُشَارًا إِلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ .
هَذَا أَهْلُ بَيْتِ دُرَيْدٍ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ وَإِذَا
نَظَرْتَ إِلَى شِعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شِعْرِ الشُّعْرَاءِ الْخَجِيِّينَ
مُنْخَطًا مَعَ أَنَّ أَوْلَئِكَ الشُّعْرَاءَ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ
عَشْرَ مِئْثَارٍ مَا عَلَيْهِ . هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ قَدْ كَانَ
مِنْ أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ الْخَجِيِّينَ وَشِعْرُهُ كَمَثَرِ نَسِيمٍ عَلَى
عَذَبَاتِ أَغْصَانٍ وَكُلُوثَاتٍ طَلَّ عَلَى طُرْرِ رَجْحَانٍ وَلَيْسَ فِيهِ

لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ غَرِيبَةٌ بِمُجْتَاجٍ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ
(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل الرابع

في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر

إِعْلَمُ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ فَنِ الشِّعْرِ
الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ الْمَقْفِيُّ وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ
أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ . وَفَنِ النَّثْرِ وَهُوَ
الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى
فُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ فِي الْكَلَامِ . فَأَمَّا الشِّعْرُ فَمِنْهُ الْمَدْحُ وَالْحِجَاءُ
وَالرِّثَاءُ . وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ
فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ
وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءً بَلْ
يُرْسَلُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا . وَيُسْتَعْمَلُ
فِي الْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ . وَأَمَّا
الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَنْثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ
الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ

آيَاتٍ يَنْتَهِي إِلَى مَقَاطِعٍ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِأَنْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا
 ثُمَّ يَعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بَعْدَهَا وَيَتَنَبَّهُ مِنْ غَيْرِ
 النَّزَامِ حَرْفٍ يَكُونُ سَجْعًا أَوْ قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ
 نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ. وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ. وَيُسَمَّى آخِرُ
 الْآيَاتِ مِنْهُ فَوَاصِلٌ إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا النَّزَمُ فِيهَا مَا
 يُلْتَزَمُ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ. وَأُطْلِقَ اسْمُ الْمَثَانِي عَلَى
 آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْصَصْتُ بِأَمِّ
 الْقُرْآنِ لِلْغَلْبَةِ فِيهَا كَالنَّجْمِ لِلثَّرْيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعُ الْمَثَانِي.
 وَأَنْظَرُ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي
 يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ. وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذِهِ الْقُنُونِ أَسَالِيبَ تَخْصُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ
 الْآخِرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ الْخُصِّ بِالشَّعْرِ
 وَالْحَمْدِ وَالِدُّعَاءِ الْخُصِّ بِالْمُحْطَبِ وَالِدُّعَاءِ الْخُصِّ
 بِالْمُخَاطَبَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ
 أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَهُ فِي الْمَثُورِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَسْجَاعِ
 وَالنَّزَامِ التَّفَنِّيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ

هَذَا الْمَشُورُ إِذَا تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفِيهِ وَلَمْ يَقْتَرِفْ إِلَّا
فِي الْوَزْنِ وَأَسْتَهَرَ الْمُتَاخِرُونَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا
الِاسْتِعْمَالَ فِي الْمَشُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَرْتَضَوْهُ
وَحَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا
أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْخُطَابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ
عِنْدَ الْكِتَابِ الْغُلِّ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا
إِلَيْهِ وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا يُلَاحَظُ فِي
تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْخُطَابِ
وَالْخُطَابِ وَهَذَا الْفَنُّ الْمَشُورُ الْمُتَقَفَّى أَدْخَلَ الْمُتَاخِرُونَ
فِيهِ أُسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تُنْزَعَ الْخُطَابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ
عَنْهُ إِذَا أُسَالِيبُ الشَّعْرِ تَنَافَيْهَا اللَّوْذِعِيَّةُ وَخَلَطَ الْحَدِّ بِالْهَزْلِ
وَالْإِطْنَابِ فِي الْأَوْصَافِ وَضَرَبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِihَاتِ
وَالِاسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ
وَالْعُمُودِ فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ
الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ
وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ إِعْطَاءُ

الْكَلَامَ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى أَلْحَالٍ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ
 مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ يَخُصُّهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِيْجَازٍ أَوْ
 حَذْفٍ أَوْ إِيْثَابٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِتَابَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ
 وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الَّذِي هُوَ
 عَلَى أَسَالِيْبِ الشَّعْرِ فَهَذَا مَوْجُودٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ
 إِلَّا اسْتِيْلَاءُ الْعُجْمَةِ عَلَى السُّنَنِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ
 إعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى أَلْحَالٍ فَعَجَزُوا عَنْ
 الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خَطْوَتِهِ
 وَوَلَعُوا بِهَذَا الْمُسَجَّعِ يُلَقِّقُونَ بِهِ مَا تَقْصُرُ عَنْهُ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ
 عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى أَلْحَالٍ فِيهِ وَيَجْهَرُونَ بِذَلِكَ الْقَدَرِ
 مِنَ التَّزْيِينِ بِالْأَسْبَاجِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْنُلُونَ عَنْهَا
 سِوَى ذَلِكَ. وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ
 أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كِتَابُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا التَّعَدُّ حَتَّى
 إِنَّهُمْ يُلْحِلُونَ بِالْأَعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالنَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ
 لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَنِبُ عَانَ مَعَهَا فَيُرْجِحُونَ ذَلِكَ
 الصَّنْفَ مِنَ التَّجْنِيسِ وَيَدْعُونَ الْأَعْرَابَ وَيُسَيِّدُونَ بَنِيَّةَ
 الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ التَّجْنِيسَ. فَتَأْمَلْ ذَلِكَ بِهَا قَدَمْنَاهُ

لَكَ تَقِفْ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ إِلَى الصَّوَابِ
بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ
(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في السجع

إِعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. الْأَوَّلُ أَنْ
يَكُونَ الْفَصْلَانِ مُتَسَاوَيْنَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَقَوْلِهِ
تَعَالَى وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ
ضُبْحًا. فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا. فَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعًا. أَلَا تَرَى كَيْفَ
جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً إِلَّا جُزْأً حَتَّى كَانَتْهَا أَفْرَعَتْ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ
وَهُوَ أَشْرَفُ السَّجْعِ مَنَزَلَةٌ لِلْأَعْنَدَالِ الَّذِي فِيهِ

الْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ
الْأَوَّلِ لَا طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْأَعْنَدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ
يَقْبُحُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيُسْتَكْرَهُ وَيَعْدُ عَيْبًا. فَمِمَّا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْنَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

سَعِيرًا. إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا.
وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا. أَلَا
تَرَى أَنَّ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَالْفَصْلَ الثَّانِي
وَالثَّلَاثَ تِسْعَ تِسْعٍ. وَيُسْتَنْتَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ السَّجْعِ
عَلَى ثَلَاثٍ فَفَقَرْنَا الْفَقْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ تَحْسِبَانِ فِي عِدَّةٍ وَاحِدَةٍ
ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوِيلًا يَزِيدُ عَلَيْهَا
فَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ
تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرَّدًا فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ أَيْنَ
وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ نَعْلَمُ أَنَّ الْحُجُوزَ يَعْمُ الْحَاجِبَيْنِ مِنَ
التَّسَاوِي فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ.
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ. مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ.
فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَبْضُودٍ. وَظَلٍ مَبْذُودٍ. فَهَذَا السَّجْعَاتُ
كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَكُلُّ جُعِلَتْ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا خَمْسَ
لَفْظَاتٍ أَوْ سِتًّا لَهَا كَانَ ذَلِكَ مَعْيَا
الْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الْآخِرُ أَقْصَرَ مِنْ

الْأَوَّلُ وَهُوَ عِنْدِي عَيْبٌ فَاحِشٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ السَّجْعَ
يَكُونُ قَدْ اسْتَوْفَى أَمَدَهُ مِنَ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ ثُمَّ
يَجِيءُ الْفَصْلُ الثَّانِي قَصِيرًا عَنِ الْأَوَّلِ فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمَشْهُورِ
فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ كَمَنْ يُرِيدُ الْأَنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةِ
فِعْثَرٍ دُونَهَا

وَإِذْ أَنْتَهَيْنَا إِلَى هَهنا وَبَيْنَا أَقْسَامَ السَّجْعِ وَلَبَهُ وَقُشُورُهُ
فَسَتَقُولُ فِيهِ قَوْلًا كَلِيمًا وَهُوَ أَنَّ السَّجْعَ عَلَى اخْتِلَافِ أَقْسَامِهِ
ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى السَّجْعَ الْقَصِيرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنَ السَّجْعَتَيْنِ مُؤَلَّفَةً مِنَ الْفَظِ قَلِيلَةٍ وَكَلِمًا قَلَّتْ
الْأَلْفَافُ كَانَ أَحْسَنَ لِقُرْبِ الْفَوَاصِلِ الْمَسْجُوعَةِ مِنْ سَمْعِ
السَّامِعِ وَهَذَا الضَّرْبُ أَوْعَرُ السَّجْعِ مَذْهَبًا وَأَبْعَدُهُ مَتَنَاوَلًا
وَلَا يَكَادُ اسْتِعْمَالُهُ يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا وَالضَّرْبُ الْآخَرُ يُسَمَّى
السَّجْعَ الطَّوِيلَ وَهُوَ ضِدُّ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَسهَلُ مَتَنَاوَلًا وَإِنَّمَا
كَانَ الْقَصِيرُ مِنَ السَّجْعِ أَوْعَرَ مَسَلَكًا مِنَ الطَّوِيلِ لِأَنَّ الْمَعْنَى
إِذَا صِغَ بِأَلْفَافٍ قَصِيرَةٍ عَزَّ مُؤَانَاةُ السَّجْعِ فِيهِ لِقَصَرِ تِلْكَ
الْأَلْفَافِ وَضِيقِ الْجَبَالِ فِي اسْتِجْلَالِهِ وَامَّا الطَّوِيلُ فَإِنَّ
الْأَلْفَافَ تَطُولُ فِيهِ وَيُسْتَجْلَبُ لَهُ السَّجْعُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ كَمَا

يُقَالُ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ
تَفَاوُتٌ دَرَجَاتُهُ فِي عِدَّةِ الْأَلْفَاظِ. أَمَّا السَّجْعُ الْقَصِيرُ فَأَحْسَنُهُ
مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْمُرْسَلَاتِ
عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمَدْيَنُ. قُمْ
فَإِنِّي نَذِيرٌ. وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَمِنْهُ
مَا يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَةِ الْأَلْفَاظِ وَأَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ
الْعَشْرَةُ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ. فَمِمَّا جَاءَ
مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى.
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ
النَّجْمُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ. وَكَذَّبُوا
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ. وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ
دَرَجَاتِهِ تَفَاوُتٌ فِي الطُّولِ أَيْضًا فَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ
الْقَصِيرِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ ثَلَاثِينَ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةٍ إِلَى اثْنَتَيْ
عَشْرَةٍ لَفْظَةً وَأَكْثَرُهُ خَمْسَ عَشْرَةٍ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَئِنْ
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَافُورٌ.
وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعَمًا بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ
عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ. فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً وَالثَّانِيَةُ

ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . وَمِنْ أَلْسِنَةِ الطَّوِيلِ
 مَا يَكُونُ تَأْلِيفُهُ مِنَ الْعَشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوْلَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى
 إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا فَفُتِلْتُمْ
 وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .
 وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ
 لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . وَمِنْ
 أَلْسِنَةِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ
 غَيْرُ مَضْبُوطٍ

(عن المثل السائر)

الْفَصْلُ السَّادِسُ

فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِ الشَّعْرِ وَوَجْهِ تَعْلُمِهِ

إِعْلَمَنَّ أَنَّ لِعَمَلِ الشَّعْرِ وَإِحْكَامِ صِنَاعَتِهِ شُرُوطًا أَوَّلَهَا
 الْخِفَظُ مِنْ جَنْسِهِ أَيْ مِنْ جَنْسِ شَعْرِ الْعَرَبِ حَتَّى تَنْشَأَ فِي
 النَّفْسِ مَلَكَهٌ يَنْسُجُ عَلَى مِنْوَالِهَا وَيُخَيِّرُ الْمُخْفُوظُ مِنَ الْحَرِّ

النَّفْيِ الْكَثِيرِ الْأَسَالِبِ . وَهَذَا الْمُحْفُوظُ الْخُنَّارُ أَقْلُ مَا
 يَكْفِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ الْفُحُولِ الْأَسْلَامِيِّينَ مِثْلِ ابْنِ أَبِي
 رَبِيعَةَ وَكُثَيْرٍ وَذِي الرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ وَحَبِيبِ
 وَالتُّجَيْدِيِّ وَالرَّضِيِّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَكَثْرُهُ شِعْرُ كِتَابِ
 الْأَغَانِي لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْأَسْلَامِيَّةِ كُلِّهِ وَالْخُنَّارُ
 مِنْ شِعْرِ أَجَاهِلِيَّةٍ . وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْمُحْفُوظِ فَظَنَّهُ قَاصِرٌ
 رَدِيٌّ وَلَا يُعْطِيهِ الرُّونَقُ وَالْحَمَلَاوَةُ إِلَّا كَثَرَةُ الْمُحْفُوظِ .
 فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عُدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ
 سَاقِطٌ وَاجْتِنَابُ الشِّعْرِ أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُنْ لَهُ مُحْفُوظٌ . ثُمَّ بَعْدَ
 الْأَمْتِلَاءِ مِنَ الْحِفْظِ وَشَحْذِ الْقَرِيحَةِ النَّسْجِ عَلَى الْمِنَوَالِ يَقْبَلُ
 عَلَى النَّظْمِ وَبِالْإِكْتِنَارِ مِنْهُ تَسْتَعِيمُ مَلَكَتُهُ وَتَرْسُخُ . وَرَبَّمَا
 يُقَالُ إِنَّ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانُ ذَلِكَ الْمُحْفُوظِ لَتَمْتَنَى رُسُومُهُ
 الْحَرْفِيَّةُ الظَّاهِرَةُ إِذْ هِيَ صَادِقَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا بَعِيْنَهَا فَإِذَا نَسِيَهَا
 وَقَدْ تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ بِهَا أَتَقَشَّ الْأَسْلُوبُ فِيهَا كَأَنَّهُ مِنْوَالٌ
 يَأْخُذُ فِي النَّسْجِ عَلَيْهِ بِأَمْنَاهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةً .
 ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْخُلُوعِ وَاسْتِحَادَةِ الْمَكَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ
 الْبَيَاهِ وَالْأَزْهَارِ وَكَذَا الْمَسْنُوعِ لِاسْتِنَارَةِ الْقَرِيحَةِ بِاسْتِجْمَاعِهَا

وَتَشْبِيْهَا بِمَلَادِ الشُّرُورِ ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ فَشَرَطُهُ أَنْ يَكُونَ
عَلَى جِهَامٍ وَنَشَاطٍ فَذَلِكَ أَجْمَعُ لَهُ وَأَنْشَطُ لِلْقَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِي
بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمِنْوَالِ الَّذِي فِي حِفْظِهِ قَالُوا وَخَيْرُ الْأَوْقَاتِ
لِذَلِكَ أَوْقَاتُ الْبُكْرِ عِنْدَ الْهَبُوبِ مِنَ النَّوْمِ وَفَرَاغِ الْعِدَّةِ
وَنَشَاطِ الْفِكْرِ وَفِي هَؤُلَاءِ الْجِهَامُ وَرُبَّمَا قَالُوا إِنَّ مِنْ
بَوَائِغِهِ الْعَشَقُ وَالْإِنْتِشَاءَ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي كِتَابِ
الْعِمْدَةِ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَرَدَ بِهِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَإِعْطَاءُ
حَقِّهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ قَالُوا فَإِنْ
اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَتْرَكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَلَا
يُكْرِهْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ وَلَيْكُنْ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ
صَوْعِهِ وَنَسْجِهِ بَضْعُهَا وَبَيْنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ
إِنْ غَفَلَ عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ صَعَبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي
مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تَجِبُ نَافِرَةٌ قَلِقَةٌ وَإِذَا سَمِعَ الْخَاطِرُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ
يُنَاسِبِ الَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتْرَكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْبَقِ بِهِ فَإِنْ كُلَّ
بَيْتٍ مُسْتَقِلٍّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْمُنَاسَبَةُ فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا
يَشَاءُ وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ الْخُلَاصِ مِنْهُ بِاتِّتَعِجْ وَالنَّدَى وَلَا
يَضُنَّ بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْأَجَادَةَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ

مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ بَنَاتُ فِكْرِهِ وَأَخْتِرَاعُ قَرَبِحِهِ وَلَا
يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ وَالْخَالِصَ
مِنَ الضَّرُورَاتِ اللَّسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِالْكَلامِ عَنْ
طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ . وَقَدْ حَظَرَ أئِمَّةُ اللِّسَانِ عَلَى الْمَوْلِدِ أُرْتِكَابَ
الضَّرُورَةِ إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ
الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ . وَيُجَنَّبُ أَيْضًا الْمُعَقَّدُ مِنَ التَّرَاكِيِبِ
جَهْدُهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى
الْفَهْمِ . وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنْ فِيهَا نَوْعٌ
تَعْقِيدٌ عَلَى الْفَهْمِ وَإِنَّمَا الْخُفَارُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَتْ الْفَاطَةُ
طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً كَانَ حَشْوًا
وَأَسْتَعْمِلَ الذَّهْنَ بِالْغَوْصِ عَلَيْهَا فَيَمْنَعُ الذَّوْقَ عَنِ اسْتِيفَاءِ
مُدْرَكِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ . وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ
مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى الذَّهْنِ وَلِهَذَا كَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ
اللَّهُ يُعَيِّبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ بِنِ خَفَاجَةٍ شَاعِرِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ
لِكَثْرَةِ مَعَانِيهِ وَأَزْدِحَامِهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يُعَيِّبُونَ
شِعْرَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعَرِّيِّ بِعَدَمِ النَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ

كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَارِلًا عَنْ طَبَقَةِ الشَّعْرِ
 وَالْحَاكِمِ بِذَلِكَ هُوَ الذَّوْقُ. وَتُجَنَّبُ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْحَوْشِيَّةُ
 مِنَ الْأَلْفَافِ وَالْمَقْصَرِ وَكَذَلِكَ السُّوْقِي الْمُبْتَدَلُ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ
 بِالْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدَلًا وَيَقْرُبُ مِنْ
 عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا وَبِقَدَارِ
 مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُتَبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذْ
 هُمَا طَرَفَانِ. وَلِهَذَا كَانَ الشَّعْرُ فِي الرِّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ
 قَلِيلَ الْإِجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا الْفَعُولُ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا
 مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدَلَةٌ لِذَلِكَ. وَإِذَا تَعَذَّرَ
 الشَّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاضْهُ وَيُعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيبَةَ مِثْلُ
 الضَّرْعِ يَدِرُّ بِالْأَمْتَرَاءِ وَيَحِفُّ بِالْتَرَكِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ
 الصَّنَاعَةُ وَتَعْلُمُهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لِابْنِ رَشِيْقٍ
 وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ الْجُحْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ
 ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ فِيهِ الْبَغِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ
 نَبْذَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْمُعِينُ

(عن ابن خلدون)

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْبُحْتَرِيُّ كُنْتُ فِي حَدَائِثِي أَرُومُ
 الشَّعْرَ وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعِي وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى
 تَسْهِيلِ مَا خَذَهُ وَوُجُوهُ أَقْنَضَاهِ حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَهَامٍ
 وَانْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ وَآتَكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا
 قَالَ لِي يَا أَبَا عِبَادَةَ تَخَيَّرِ الْأَوْقَاتِ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْغُمُومِ صِفْ
 مِنَ الْغُمُومِ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ
 الْإِنْسَانُ لِمَا لَيْفَ شَيْءٍ أَوْ حِفْظُهُ فِي وَقْتِ السَّحَرِ وَذَلِكَ أَنَّ
 النَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ
 وَإِنْ أُرِدْتَ التَّشْيِيبَ فَأَجْعَلِ اللَّفْظَ رَفِيقًا وَالْمَعْنَى رَشِيمًا
 وَاكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ وَتَوَجَّعِ الْكِبَايَةَ وَقَلِّ الْأَشْوَاقِ
 وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيحِ سَيِّدِ ذِي أَيَادٍ فَاشْهَرِ
 مَنَاقِبَهُ وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ وَشَرَفِ مَقَامِهِ وَنَضِدِ
 الْمَعَالِي وَاحْذَرِ الْعُجْهُولَ مِنْهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْبِنَ شِعْرَكَ
 بِالْأَلْفَافِ الرَّدِيئَةِ وَكُنْ كَأَنَّكَ خِيَاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى
 مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجْرُ فَارْحُ نَفْسَكَ وَلَا
 تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ وَاجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ

الشَّعْرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى حُسْنِ نَظْمِهِ فَإِنَّ الشَّهَوَةَ نِعَمَ الْمَعِينِ .
وَجُمْلَةُ الْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شِعْرِ الْمَاضِينَ
فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ فَأَقْصِدْهُ وَمَا تَرَكَوهُ فَأَجْنِبْهُ تَرْشُدُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ . قَالَ فَأَعْمَلْتُ نَفْسِي فِي مَا قَالَ فَوَقَفْتُ عَلَى
السياسة (من كتاب زهر الآداب)

الفصل السابع

في النصيحة والبلاغة وفيه قسمان

القسم الأول

في النصيحة

إِعْلَمْ أَنَّ هَذَا بَابٌ مُتَعَدِّ عَلَى الْوَالِحِ وَمَسْلُوكٌ مُتَوَعِّدٌ عَلَى
النَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يَكْتُمُونَ
الْقَوْلَ فِيهِ وَابْتِغَتْ عَنْهُ وَلَمْ أُجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا
الْقَلِيلَ . وَغَايَةُ مَا يَقَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ النَّصِيحَةَ هِيَ
الظُّهُورُ وَالْيَبَانُ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ يَقَالُ أَفْصَحَ

الصَّحِيحُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقُون عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ
 السِّرِّ فِيهِ. وَبِهَذَا الْقَوْلِ لَا تَبَيَّنُ حَقِيقَةُ الْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ
 يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتِرَاضَاتِ أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ
 يَكُنِ اللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيِّنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ
 صَارَ فَصِيحًا. الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ هُوَ
 الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى
 الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا لَزِيدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا
 لِعَمْرٍو فَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هَذَا. وَلَيْسَ
 كَذَلِكَ بَلِ الْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ
 بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ الْفَصَاحَةِ وَعُرِفَ
 مَا هِيَ لَمْ يَبْقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ. الْوَجْهُ
 الثَّلَاثُ أَنَّهُ إِذَا جِيءَ بِالْفِظِ قَبِيحٍ يَنْبُو عَنْهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
 ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ
 وَصَفُ حُسْنِ اللَّفْظِ لَا وَصْفُ قُبْحٍ. فَهَذِهِ الْأَعْتِرَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ
 وَارِدَةٌ عَلَى قَوْلِ الْفَائِلِ إِنَّ اللَّفْظَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ
 مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ. وَلَكَمَا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا

أَلْبَابِ مَلَكَتْنِي الْخَيْرَةُ فِيهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعَوِّلُ
 عَلَيْهِ وَلِكثْرَةِ مُلَابَسَتِي هَذَا الْفَرْقَ وَمَعَارَكِي إِيَّاهُ أَنْكَشَفَ لِي
 السِّرَّ فِيهِ وَسَاءُ وَضِئُهُ فِي كِتَابِي هَذَا وَأُحَقِّقُ الْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ
 إِنَّ الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ
 أَنْ تَكُونَ الْفَلَاظُ مَفْهُومَةً لَا يَجُنَاجُ فِي فَرْمِهَا إِلَى اسْتِخْرَاجِ
 مِنْ كِتَابٍ لُغَةٍ. وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَا لَوْفَةَ
 الْأَسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ
 وَإِنَّمَا كَانَتْ مَا لَوْفَةَ الْأَسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي الْكَلَامِ دُونَ
 غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا. وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ
 وَالنَّثْرِ غَرِبُوا بِاللُّغَةِ بِأَعْيَارِ الْفَلَاظِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَمُوا
 فَأَخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَأَسْتَعْمَلُوهُ وَنَفَوْا الْقَبِيحَ مِنْهَا
 فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنُ الْأَسْتِعْمَالِ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا
 وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهورِهَا وَبَيَانِهَا. فَأَلْفَصِحُ إِذْنًا مِنَ الْأَلْفَاظِ
 هُوَ الْحَسَنُ. فَإِنْ قِيلَ مِنْ أَيْ وَجْهِ عِلْمِ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
 الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى
 نَفَوْهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ. قُلْتُ فِي الْجَوَابِ إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ

الْحُسُوسَةُ الَّتِي شَاهَدَهَا مِنْ نَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي
 حَيْزِ الْأَصْوَاتِ فَالَّذِي يَسْتَلِذُّ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَهْمِلُ إِلَيْهِ هُوَ
 الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ الْقَبِيحُ. أَلَا تَرَى أَنَّ
 السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبَلْبَلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشَّجَرِ
 وَيَهْمِلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ
 يَكْرَهُ نَهْيُ الْقَحْمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ. وَالْأَلْفَاظُ
 جَارِيَةٌ هَذَا الْعَبْرَى فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمُرْتَبَةِ
 وَالِدَيْتَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ وَأَنَّ لَفْظَةَ الْبُعَاقِ قَبِيحَةٌ
 يَكْرَهُهَا السَّمْعُ. وَهَذِهِ اللَّفْظَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ الْمَطَرِ وَهِيَ
 تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمُرْتَبَةِ
 وَالِدَيْتَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَا لَوْفَتِي الْإِسْتِعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ
 الْبُعَاقِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يَسْتَعْمَلُ وَإِنْ اسْتَعْمِلَ
 فَإِنَّهَا يَسْتَعْمَلُهُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ مَنْ ذَوْقُهُ غَيْرُ
 ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحَضًّا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ
 فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلِمَتْ وَجَبَ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ
 يُعْرِجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي الْبَلَاغَةِ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَبِيبٍ الْبَصْرِيُّ
 الْمَاورِثِيُّ لَيْسَ يَصِحُّ اخْتِيارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ
 بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَّفَهَا لَزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا
 مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلٍّ الْمَعْنَى
 لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ مُفْرَدَةٍ وَلَا لِأَلْفَافِهَا غَايَةً
 وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ تَكُونُ بِالْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ مُسْتَوْدَعَةً فِي الْأَفَافِ
 فَصِيحَةٍ فَتَكُونُ فَصَاحَةً الْأَلْفَافِ مَعَ صِحَّةِ الْمَعَانِي هِيَ الْبَلَاغَةُ
 وَقَدْ قِيلَ لِلْبُونَانِيِّ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ اخْتِيارُ الْكَلَامِ وَتَصْحِيحُ
 الْأَقْسَامِ . وَقِيلَ ذَلِكَ لِلرُّومِيِّ فَقَالَ حُسْنُ الْأَخْصَارِ عِنْدَ
 الْبَدِيهِ وَالْغَزَارَةِ يَوْمَ الْإِطَالَةِ . وَقِيلَ لِلْعَرَبِيِّ فَقَالَ مَا حُسْنُ
 إِيجَازِهِ وَقُلْ حَجَازُهُ . وَقِيلَ الْبَدَوِيِّ فَقَالَ مَا دُونَ السَّحَرِ
 وَفَوْقَ الشَّعْرِ يَفْتُ الْخُرْدَلُ وَيَحْطُ الْخَنْدَلُ . وَقِيلَ لِلْحَضْرِيِّ
 فَقَالَ مَا كَثُرَ إِعْجَازُهُ وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ . وَسَأَلَ
 الْحَجَّاجُ ابْنَ الْفَرَّيْهِ عَنِ الْإِيجَازِ قَالَ أَنْ تَقُولَ فَلَا تَبْطِئَ

وَأَنْ تُصِيبَ فَلَا تُخْطِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ

وَالْعِيُّ مَعْنَى قَصِيرٌ بِجَوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ

وَفِي الْكَلَامِ فُصُولٌ وَفِيهِ قَالَ وَقِيلَ

وَأَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا إِيضَاحُ

تَنْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْهِلَةً. وَالثَّانِي أَسْتِيفَاءُ

نَفْسِهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا

هُوَ فِيهَا. وَالثَّلَاثُ صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ

أَحَدُهَا مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِمَا يُعِيقُهَا وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّ

الْمَعَانِي تُصِيرُ مُتَشَاكِلَةً. وَالثَّانِي مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ

الْمُقَابَلَةِ وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ الْمُوَافَقَةُ

فِي الْأَثْنِافِ وَالْمُضَادَّةُ مَعَ الْأَخْلَافِ. فَأَمَّا فَصَاحَةُ

الْأَلْفَافِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا مُجَانِبَةُ الْغَرِيبِ

الْوَحْشِيِّ حَتَّى لَا يَبْجُجَ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ. وَالثَّانِي تَنَكُّبُ

الْلَفْظِ الْمُبْتَدَلِ وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَرْذَلِ حَتَّى لَا

يَسْتَسْقِطَهُ خَاصِيٌّ وَلَا يَنْبُو عَنْهُ فَهْمٌ عَامِيٌّ كَمَا قَالَ الْمُجَاحِظُ

فِي كِتَابِ الْبَيَانِ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ قَوْمًا أَمْثَلَ طَرِيقَةً فِي
 الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتُبِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ التَّمَسُّوا مِنَ الْأَلْفَافِ
 مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا. وَالثَّالِثُ أَنَّ
 يَكُونُ بَيْنَ الْأَلْفَافِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسَبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ. أَمَّا الْمُطَابَقَةُ
 فَمِنْ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَافُ كَالْفَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا
 وَلَا تَقْصُرُ عَنْهَا. وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي
 الْبَلَاغَةِ إِذَا لَمْ تَجِدِ اللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى
 مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلْبَةً فِي مَكَانِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى الْفَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا
 فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تُعْطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ وَلَمْ تُتَكَلَّفِ
 اخْتِيَارَ الْمَشُورِ لَمْ يَعْيبَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا فِيهِمَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلُ عِيَا
 مِنْهُ وَأَزْرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ. وَأَمَّا الْمُنَاسَبَةُ فَهِيَ أَنْ
 يَكُونَ الْمَعْنَى يَلِيقُ بَعْضُ الْأَلْفَافِ إِمَّا الْعُرْفِ مُسْتَعْمِلٍ أَوْ
 لِاتِّفَاقِ مُسْتَحْسِنٍ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ تِلْكَ الْمَعْنَى بِغَيْرِ تِلْكَ
 الْأَلْفَافِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِاعْتِيَادِ

مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ لَا يَكُونُ الْبَلِيغُ بَلِيغًا حَتَّى
يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ
(من كتاب ادب الدنيا والدين)



الفصل الثامن

في المبادئ والآليات

إِعْلَمُ أَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا النِّوعِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ مِنْ
الشَّعْرِ أَوْ الرِّسَالِ دَالًّا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ
الْكَلَامِ إِنْ كَانَ فَتَحًا فَتَحًا وَإِنْ كَانَ هَنَاءً فَهَنَاءً أَوْ كَانَ
عِزًّا فَعِزًّا وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي
وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ بِهِ . وَحُكْمُ هَذَا
النِّوعِ وَالْفَاعِدَةُ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا أُسَاسُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ
إِذَا نَظَّمَ قَصِيدَةً أَنْ يَنْظُرَ فَإِنْ كَانَتْ مَدِيحًا صِرْفًا لَا يَخْتَصُّ
بِحَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ أَوْ لَا
يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ بَلْ يَرْتَجِلُ الْمَدِيحَ أَرْتَجَالًا مِنْ أَوَّلِهَا كَقَوْلِ الْفَائِلِ

إِنْ حَارَتْ أَلْأَبَابُ كَيْفَ نَقُولُ
 فِي ذَا الْقَامِ فَعَذْرُهَا مَقْبُولُ
 سَامِحْ بِفَضْلِكَ مَا دَحِيكَ فَمَا لَهُمْ
 أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
 إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنُ
 فَالْمُحْسِنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

فَإِنَّ هَذَا الشَّاعِرَ ارْتَجَلَ الْمَدِجَ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ فَأَتَى بِهِ
 كَمَا تَرَى حَسَنًا لَا تَقَارُ وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنْ
 الْحَوَادِثِ كَفَتْهُ مُقْلٌ أَوْ هَزِيمَةٌ جَيْشٍ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا
 يَنْبَغِي أَنْ يُدْأَى فِيهِ بِغَزَلٍ وَإِنْ فَعِلَ ذَلِكَ دَلٌّ عَلَى ضَعْفِ
 قَرَبَةِ الشَّاعِرِ وَفُضُورِهِ عَنِ الْغَايَةِ أَوْ عَلَى جَهْلِهِ بِوَضْعِ
 الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ . فَإِنْ قِيلَ إِنَّكَ قُلْتَ يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ
 كَذَا وَكَذَا فَلِمَ ذَلِكَ قُلْتَ فِي الْجَوَابِ إِنَّ الْغَزَلَ رِقَّةٌ
 مُحَضَّةٌ وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي تُنْظَمُ فِي الْحَوَادِثِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا
 مِنْ فَحْلِ الْكَلَامِ وَمَتِينِ الْقَوْلِ وَهِيَ ضِدُّ الْغَزَلِ . وَأيضًا
 فَإِنَّ الْأَسْمَاعَ تَكُونُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى مَا يُقَالُ فِي تِلْكَ الْحَوَادِثِ

وَالْأَبْدَاءُ بِأَخْوَصٍ فِي ذِكْرِهَا لَا الْإِبْدَاءُ بِالْغَزْلِ إِذِ
الْمُهْمُ وَاجِبُ التَّقْدِيمِ

وَمِنْ أَدَبِ هَذَا النَّوعِ أَنْ لَا يَذْكُرَ الشَّاعِرُ فِي افْتِتَاحِ
قَصِيدَةٍ بِالْمَدْحِ مَا يَتَطَيَّرُ مِنْهُ . وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَدَبِ النَّفْسِ
لَا إِلَى أَدَبِ الدَّرْسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْتَرَزَ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِهِ
كَوَصْفِ الدِّيَارِ بِالدُّنُورِ وَالْمَنَازِلِ بِالْعَفَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ تَشْتِثِ الْأَلْفِ وَذَمِّ الزَّمَانِ وَلَا سِيَمَا إِذَا كَانَ فِي
الْتَّهَانِي فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ قُبْحًا وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي
الْخُطُوبِ النَّازِلَةِ وَالنَّوَائِبِ الْحَادِثَةِ وَمَتَى كَانَ الْكَلَامُ فِي
الْمَدْحِ مُفْتَحًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَطَيَّرَ مِنْهُ سَامِعُهُ

وَإِنَّمَا خُصَّتِ الْإِبْدَاءَاتُ بِالْإِخْيَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا
يَطْرُقُ السَّمْعَ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ الْإِبْدَاءُ لَاتِّقًا بِالْمَعْنَى
الْوَارِدِ بَعْدَهُ تَوَقَّرَتِ الدَّوَاعِي عَلَى اسْتِمَاعِهِ . وَمِنْ قُبْحِ
الْإِبْدَاءَاتِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا أَلْمَاءُ
يَنْسَكِبُ لِأَنَّ مُقَابِلَةَ الْمَمْدُوحِ بِهَذَا الْخِطَابِ لَا خِفَاءَ بِفُجْهِ
وَكِرَاهَتِهِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ تَجَرَّعُ أَسَى قَدْ أَفْطَرَ الْأَجْرُ

الْفَرْدُ. وَإِنَّمَا أَلْفَى أَبَا تَهَامٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكْرُوهِ تَبَعُهُ
 لِلتَّجْنِيسِ بَيْنَ تَجَرُّعٍ وَالْأَجْرَعِ. وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَحَ قَوْلُ
 الْبُحْتَرِيِّ فُوَادَ مَلَاهُ الْحُزْنَ حَتَّى تَصَدَّعَا. فَإِنَّ أَيْدَاءَ
 الْمَدِجِ بِمِثْلِ هَذَا طَبِيعَةٌ يَنْبَغِي عَنْهَا السَّمْعُ وَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ
 يَكُونَ أَيْدَاءَ مَرْتَبَةٍ لَا مَدِجٍ. وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَخْفَى هَذَا عَلَى
 مِثْلِ الْبُحْتَرِيِّ وَهُوَ مِنْ مُفْلَيْهِ الشُّعْرَاءِ. وَحُكِيَ أَنَّهُ لَهَا فَرَعٌ
 الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ قَصْرِهِ بِالْمِيدَانِ جَلَسَ فِيهِ وَجَمَعَ
 أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِينَتِهِمْ فَمَا رَأَى
 النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَاسْتَأْذَنَ اسْتَحْقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
 الْمَوْصِلِيُّ فِي الْأَنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنْشَدَ شِعْرًا حَسَنًا أَجَادَ فِيهِ
 إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْتَحَهُ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَعَفَاءِهَا فَقَالَ

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَحَمَاكَ

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فَطَبَّرَ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ وَتَغَامَزَ النَّاسُ عَلَى اسْتِحْقَ كَيْفَ
 ذَهَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ
 لِلْمُلُوكِ. فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِيحِهِ فَلْيَذْكُرْ

كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ السُّلَيْمِيُّ حَيْثُ قَالَ
 فَصَّرَ عَلَيْهِ تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ
 وَمَا أَجْدَرَ هَذَا الْبَيْتَ بِمُفْتَحِ شِعْرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي
 أَنْشَدَهُ لِلْمُعْتَصِمِ فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ
 حَسَنًا لَا نِفَامًا. وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَحَدِ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ مَنْ
 أَجَادَ الْإِبْدَاءَ وَالْمَطْلِعَ. أَلَا تَرَى إِلَى قَصِيدَةِ أَبِي نُوَّاسٍ
 الَّتِي أَوَّلُهَا

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَيَّامُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَشَاشَةٌ تُسْتَامُ
 فَإِنَّهَا مِنْ أَشْرَفِ شِعْرِهِ وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَكْرَهَةٌ
 الْإِبْدَاءُ لِأَنَّهَا فِي مَدْحِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِينِ وَافْتِتَاحِ الْمَدِيحِ
 بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَدُثُورِهَا مِمَّا يَنْطِيرُ مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا فِي مُشَافَهَةِ
 الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَلِهَذَا يُخْتَارُ فِي ذِكْرِ الْأَمَاكِينِ وَالْمَنَازِلِ
 مَا رَقَّ لَفْظُهُ وَحَسُنَ النُّطْقُ بِهِ كَالْعَذِيبِ وَالْغَوِيرِ وَرَأْمَةِ
 وَبَارِقِ وَالْعَقِيقِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِبْدَاءِ أَنْ لَا يَكُونَ مِمَّا
 يَنْطِيرُ مِنْهُ فَقَطْ فَإِنَّ مِنَ الْإِبْدَاءِ مَا يُسْتَفْهِمُ وَإِنْ لَمْ
 يَنْطِيرُ مِنْهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ فَذَكَرْتُ أَنْتَبَ أَرَبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ

وَقَوْلِهِ نَبِيَّ جَعَلَنِي لَسْتُ طَوَّعَ مُؤَنَّبِي وَقَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ
 الْمُتَنَبِّيِّ أَقْلُ فَعَالِي بَلَهْ أَكْثَرُهُ مُجْدُ وَالْعَجَبُ أَنَّ هَذِينَ
 الشَّاعِرَيْنِ الْمُنَافِقَيْنِ يَبْتَدِئَانِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَلَهُمَا مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ
 الْحَسَنَةِ مَا أَذْكُرُهُ. أَمَّا أَبُو تَهَامٍ فَإِنَّهُ أَفْتَحَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْمُعْتَصِمَ عِنْدَ قَتْلِهِ مَدِينَةَ عَمُورِيَةَ فَقَالَ

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
 فِي حَدِّهِ التَّحْدُ بَيْنَ التَّجْدِ وَاللَّعِبِ
 بِيضُ الصَّفَاحِ لَأَسْوَدُ الصَّخَائِفِ فِي

تَوْنِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 فَلَمَّا افْتُحَتْ بَنَى أَبُو تَهَامٍ مَطْلَعَ قَصِيدَتِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى
 وَجَعَلَ السَّيْفَ أَصْدَقَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي خَبَّرَتْ بِامْتِنَاعِ
 الْبَلَدِ وَأَعْنِصَامِهَا. وَقَوْلُهُ فِي أَوَّلِ مَرثِيَةٍ
 أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
 وَأَصْحَ مَعْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَعَا

وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ الْحَسَنَةِ فِي
 شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا وَكَانَ قَدْ جَرَتْ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ نَزْعَةٌ فَبَدَأَ قَصِيدَتَهُ بِذِكْرِ الْغَرَضِ

الْمَقْصُودِ فَقَالَ

خَسَمَ الصَّلْحُ مَا أَشْتَمْتَهُ الْأَعَادِي

وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْمُحْسَادِ .

وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْإِبْتِدَاءِ وَنَادِرِهِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ فِي

سَيْفِ الدَّرَّةِ وَكَانَ ابْنُ الشُّمَيْقِ حَلَفَ لِيَلْقَبَنَّهُ كِفَاحًا

فَلَمَّا التَّقْيَا لَمْ يُطِيقْ ذَلِكَ وَوَلَّى هَارِبًا فَأَفْتَحَ أَبُو الطَّيِّبِ

قَصِيدَتَهُ بِفَحْوَى الْأَمْرِ فَقَالَ

عُقِيَ الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَغَى نَدَمٌ

مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ .

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ أَوَاعِدُهُ

مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْبُعَادِ مَتَّهِمٌ

وَمِنْ الْبَدِيعِ النَّادِرِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ مُنْغَزَلًا فِي مَطْلَعِ

قَصِيدَتِهِ الْفَافِيَّةِ وَهِيَ

أَنْزَاهَا إِكْثَرَةُ الْعُشَّائِ تَحَسَّبُ الدَّمَعَ خَلْقَةً فِي الْمَاءِ

وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ كَافٍ لِلْمُتَعَلِّمِ وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ

(انتهى ملخصاً ببعض نصرته عن المثل السائر)

الفصل التاسع

في التلخيص والافتضاب

إِعلم أَنَّ التَّلْخِصَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ مُؤَلِّفُ الْكَلَامِ فِي مَعْنَى
مِنَ الْمَعْنَى فَبَيْنَا هُوَ فِيهِ إِذَا أَخَذَ فِي مَعْنَى آخَرَ غَيْرِهِ
وَجَعَلَ الْأَوَّلَ سَبَبًا إِلَيْهِ فَيَكُونُ بَعْضُهُ أَخْذًا بِرِقَابِ بَعْضٍ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامُهُ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ بَلْ يَكُونُ
جَمِيعُ كَلَامِهِ كَأَنَّمَا أُفْرِغَ إِفْرَاغًا وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى
خِذْقِ الشَّاعِرِ وَقُوَّةِ تَصَرُّفِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نِطَاقَ الْكَلَامِ
يَضِيقُ عَلَيْهِ وَيَكُونُ مُتَّبِعًا لِلْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ فَلَا تُؤَاتِيهِ
الْأَلْفَاظُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَأَمَّا النَّائِرُ فَإِنَّهُ مُطْلَقُ الْعَيْنَانِ
يَهْضِي حَيْثُ شَاءَ فَلِذَلِكَ يَشُقُّ التَّلْخِصُ عَلَى الشَّاعِرِ أَكْثَرَ
مِمَّا يَشُقُّ عَلَى النَّائِرِ

وَأَمَّا الْإِفْتِضَابُ فَإِنَّهُ ضِدُّ التَّلْخِصِ وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ
الشَّاعِرُ كَلَامَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ غَيْرَهُ مِنْ
مَدِجٍ أَوْ هِجَاءٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ لِلنَّائِرِ عِلَاقَةٌ بِالْأَوَّلِ
وَهُوَ مَذْهَبُ الْعَرَبِ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْخُضَرَمِيِّينَ وَأَمَّا

الْعَدُوْنَ فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِي التَّلَاصِّي فَأَدْعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ
كُلَّ غَرِيبَةٍ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَمَامٍ
يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ

مِنَّا السُّرَى وَخَطَى الْمَهْرِيَّةِ الْقُدُ
أَمَطَلَعَ الشَّمْسُ تَبَغَّى أَنْ تَوْمَّ بِنَا
فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطَلَعَ الْحُجُودُ
وَقَوْلُهُ

غَيْدَاءَ جَادَ وَلِيَّ الْحُسْنِ سُنَّتَهَا
فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أَنْفَا

يُضْحِي الْعَذُولُ عَلَى تَأْنِيهِ كِلَفَا
بِعُذْرٍ مَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا كِلَفَا
وَدِعَ فُؤَادَكَ تَوْدِيْعَ الْفِرَاقِ فَمَا

أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوْدِيْعِ مُنْصَرِفَا
يُجَاهِدُ الشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْذِبُهُ

جِهَادُهُ لِلْقَوَائِي فِي أَبِي دُلْفَا

وَمَا جَاءَ مِنَ التَّلَاصِّاتِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ الْمَتَنِ فِي قَصِيدَتِهِ
الدَّالِّيَّةِ

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْأَخِيذُ بَعْضُهُ بِرِ قَابِ بَعْضٍ أَلَا تَرَى إِلَى
الْخُرُوجِ إِلَى مَدْحِ الْمَمْدُوحِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كَأَنَّهُ أَفْرَغَ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا
أَتَى بِهِ مِنَ التَّخْلِصَاتِ وَهُوَ فِي قَصِيدَتِهِ النَّائِيَةِ

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتَهَا ثَبَتَ الْجَنَانُ كَأَنِّي لَمْ أَتَهَا
وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبِ غَادَرْتَهَا أَقْوَاتٌ وَحَشِي كُنَّ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُهَا غُرَّرَ الْحِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَاهِهَا
الَّتَيْنِ فُرُوسَةٌ كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّعْنُ فِي لَبَائِهَا
فَكَأَنَّهَا نَجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
تِلْكَ النُّفُوسُ الْغَالِبَاتُ عَلَى الْعُلَى وَالْعُجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
سَقَيْتُ مَنَابِتَهَا الَّتِي سَقَتِ الْوَرَى بِيَدِي أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا
فَانْظُرْ إِلَى هَذَيْنِ التَّخْلِصَيْنِ الْبَدِيعَيْنِ فَأَلَا أَوَّلُ خَرَجٍ بِهِ
إِلَى مَدْحِ قَوْمِ الْمَمْدُوحِ وَالثَّانِي خَرَجَ بِهِ إِلَى نَفْسِ

الْمَدْحِ وَكِلَاهُمَا قَدْ أَغْرَبَ فِيهِ كُلُّ الْأَغْرَابِ . وَعَلَى هَذَا
جَاءَ قَوْلُهُ

إِذَا صَلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِفَانِكَ

وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ

وَالَا فَنَاءَتَنِي الْقَوَافِي وَعَافِي

عَنِ ابْنِ عَبِيدٍ اللَّهُ ضَعُفُ الْعَزَائِمِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ الشَّاعِرُ التَّخْلُصَ فَيَأْتِي بِهِ قَبِيحًا

كَمَا فَعَلَ فَقَالَ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدْحِ .

غَدَا بِكَ كُلُّ خَلْوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْنَحَ كُلَّ مَسْتَوٍ خَلِيعًا

أُحْجِكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٌ نَبِيرَ أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيحًا

وَهَذَا تَخْلُصٌ كَمَا تَرَاهُ بَارِدٌ لَبَسَ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ الْجَبَالِ

شَيْءٌ وَهَذَا يَكُونُ الْإِفْتِضَابُ أَحْسَنَ مِنَ التَّخْلُصِ فَيَنْبَغِي

لِسَائِلِكَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ فَإِنْ أَتَاهُ

التَّخْلُصُ حَسَنًا كَمَا يَنْبَغِي وَإِلَّا فَلْيَدَعُهُ وَلَا يَسْتَكْرِهْهُ حَتَّى

يَكُونَ مِثْلَ هَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُتَنَبِّيُّ

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي

أَوَّلُهَا أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا قَاسَيْتُ مَا قَتَلَا فَقَالَ

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَسْنَعُ لِي
 إِلَى إِلَهِ تَرَكْتَنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا
 وَالْأَضْرَابُ عَنْ مِثْلِ هَذَا أَلْتَخَلَّصُ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَمَا أَلْقَاهُ
 فِي هَذِهِ الْهَوَّةِ إِلَّا أَبُو نُوَّاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ
 سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
 هَوَاكَ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
 وَلِهَذَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهُ فَلْيَتَخَيَّرِ النَّازِمُ

وَالْإِقْتِضَابُ الْوَارِدُ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى وَالْتِخْلُصُ
 بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ الْتِخْلُصُ فِي شَعْرِ
 الشَّاعِرِ الْمُجِيدِ إِهْ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُتَضَعِّبِ مِنْ شَعْرِهِ
 فَمِنْ الْإِقْتِضَابِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي قَصِيدَتِهِ التَّوْنِيَّةِ إِلَهِ
 أَوْلَهَا يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي الدِّمَنِ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ عَيْنُ
 شَعْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُكْمَلْ حُسْنُهَا بِالْتِخْلُصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى
 الْمَدِيحِ بَلْ اقْتَضَبَهُ اقْتِضَابًا فَبَيْنَا هُوَ يَصِفُ الْخَمْرَ وَيَقُولُ
 فَاسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَذْلِ كَرِهْتَ مَسْهُوعَهُ أَذُنِي
 مِنْ كَمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرِ مَا سَلَسَلْتَ فِي بَدَنِي
 مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِي فَتَى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ

حَتَّى قَالَ

تَضَحَّكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَثَارِ وَالسَّنَنِ
 سَنَ لِلنَّاسِ الْإِنْدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُغْلَ لَمْ يَكُنْ
 فَأَكْثَرَ مَدَامِحَ أَبِي نُوَّاسٍ مُتَضَبَّةً هَكَذَا وَمِنْ هَذَا الْبَابِ
 قَوْلُ الْبُخْتَرِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِأَجْوَدَةِ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ وَذَكَرَ لِفَاءَهُ الْأَسَدَ وَقَتْلَهُ إِيَّاهُ وَأَوَّلَهَا
 أَجْدَكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لَزِينًا وَهِيَ مِنْ أُمَهَاتِ شِعْرِهِ وَمَعَ
 ذَلِكَ لَمْ يُفَوِّقْ فِيهَا لِلتَّخْلِصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدِيحِ فَإِنَّهُ
 بَيْنَمَا هُوَ فِي تَغَزُّلِهِ وَهُوَ يَقُولُ

عَهْدُكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنَيْتَ مَوْعِدًا
 جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَقْتَ أَبْرَقْتَ خُلْبًا
 وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الصُّدُودَ الَّذِي مَضَى
 دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبًا
 فَوَا أَسْفَا حَسَامَ أَسْأَلُ مَا نَعَا
 وَأَمْنُ خَوَاتِنَا وَأَعْيَبُ مَذْنِبَا
 حَتَّى قَالَ فِي أَثَرِ ذَلِكَ

أَقُولُ لِرَكَبٍ مُّعْتَفِينَ تَدْرَعُوا
عَلَى عَجَلٍ فِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ غَيْبًا
رِدُّوا نَائِلَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ إِنَّهُ

أَعْمُ نَدَى فَيْكُمُ وَإَيْسَرُ مَطْلَبًا
فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِجِ بِغَيْرِ وُصْلَةٍ وَلَا سَبَبٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي
قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِأَجْوَدَةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ
أَيْضًا وَأَوَّلُهَا مَتَى لَاحَ بَرَقَ أَوْ بَدَأَ طَلَّلَ قَفَرٌ فَبَيَّاهُو فِي
غَزَلِهَا حَتَّى قَالَ

لَعَبْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِنَاقِصَةٍ أَلْجَدَى
إِذَا بَقِيَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَالْفَطْرُ
فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِجِ مُقْتَضِبًا لَا مُتَعَلِّيًا بِهِ . وَأَمَّا هَذَا فِي
شِعْرِهِ كَثِيرٌ

وَأَتَخَلَّصُ غَيْرُ مُمَكِّنٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَهُوَ مِنْ
مُسْتَضْعَبَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ فَلْيَتَدَبَّرِ الشَّاعِرُ وَبِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ
الْأَمْثَلَةِ كِفَايَةً لِلطَّالِبِ

(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل العاشر

في الخنাম

هَذَا النَوْعُ يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ وَالنَّائِرِ أَنْ يَتَأَنَّى فِيهِ غَايَةً
 التَّأَنِّيَ وَجُودًا فِيهِ مَا اسْتَطَاعَا لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَنْتَهِي إِلَى السَّمْعِ
 وَيَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي الْأُذُنِ وَيَعْلُقُ بِحَوَاشِي الذِّكْرِ فَهُوَ كَمَقْطَعِ
 الشَّرَابِ يَكُونُ آخِرَ مَا يُمْرُ بِالْفَمِ وَيُعْرَضُ عَلَى الذَّوْقِ
 فَيَشْعُرُ مِنْهُ بِمَا لَا يَشْعُرُ مِنْ سِوَاهُ حَتَّى لَوْ كَانَ فِي الشَّرَابِ
 بَعْضُ مَرَارَةٍ وَكَانَ حُلُوَ الشُّمَالَةِ طَيِّبَ الْمَنْزَعَةِ سَتَرَ هَذَا
 الْحُلُوُّ تِلْكَ الْمَرَارَةَ وَكَانَ هُوَ الْبَاقِي وَهِيَ الذَّاهِيَّةُ . وَلِذَلِكَ
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخَنَامُ مُمَيِّزًا عَنْ سَائِرِ الْكَلَامِ قَبْلَهُ بِنُكْتَةٍ
 لَطِيفَةٍ أَوْ أَسْلُوبٍ رَشِيقٍ أَوْ مَعْنَى بَلِيعٍ وَيُخْتَارُ لَهُ مِنَ اللَّفْظِ
 الرَّقِيقُ الْحَاشِيَةُ الْخَفِيفُ الْخَمَلُ عَلَى السَّمْعِ السَّهْلُ الْوَرْدُ
 عَلَى الطَّبْعِ وَيَتَجَانَّى بِهِ عَنِ الْأَسْهَابِ وَالْتَعْفِيدِ وَالثَّقَلِ وَغَيْرِ
 ذَلِكَ مِمَّا تَنْبُو عَنْهُ الْأُذُنُ وَتَثْقُلُ مَوَوتُهُ عَلَى الذِّكْرِ فَتَذْهَبُ
 طُلَاوُتُهُ وَتَضِيعُ بِهِ مَحَاسِنُ مَا قَبْلَهُ لِأَنَّ كُلَّ تَالٍ مِمَّا سَبَقَهُ
 يَحْمُوْ أَثَرَ مَا تَلَاهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْآخِرِ مَا يَخْلَفُ تِلْكَ
 الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا ذَهَبَتْ بِأَسْرِهَا طَلْفًا . وَمَتَى جَوَّدَ الشَّاعِرُ أَوْ

النَّائِرُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى سَعَةِ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ
 ضَرَبَتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْرِعْ إِلَيْهِ الضَّجَرُ وَلَمْ يَسْتَوِلْ عَلَيْهِ الْخَصَرُ
 وَلَمْ يَنْتَزِفْ مَادَّتَهُ الْأِنْفَاقُ وَيَكُونُ مِثْلَهُ مِثْلَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
 كُلَّمَا ذَهَبَ مِنْهُ جَرِيٌّ نَشِطَ لِغَيْرِهِ وَكَانَ فِي آخِرِ شَوْطِهِ
 أَقْوَى مِنْهُ فِي أَوَّلِهِ

وَحُكْمُ الْخِتَامِ أَنَّ يَكُونَ مُؤَدِّنًا يَتِمَامِ الْكَلَامِ بِحَيْثُ يَكُونُ
 وَاقِعًا عَلَى آخِرِ الْمَعْنَى فَلَا يَتَظَرُّ السَّمِيعُ شَيْئًا بَعْدَهُ وَأُظْهِرُ
 مَا يَكُونُ هَذَا فِي الْقِصَصِ الْمَسُوقَةِ كَمَا فِي الْقَهَامَاتِ مَثَلًا
 فَإِنَّ نِهَايَةَ الْوَاقِعَةِ تَدُلُّ عَلَى خِتَامِ الْمَعْنَى فَيُخْتَمُ بِهِ اللَّفْظُ .
 وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى دَالًّا بِنَفْسِهِ عَلَى انْخِتَامِ حَسُنَ أَنْ يُدَلَّ
 عَلَيْهِ بِكَلَامٍ آخِرٍ يُذَكِّرُ عَلَى عَقِبِ الْفَرَاغِ مِنْ سِيَاقَةِ الْأَغْرَاضِ
 السَّابِقَةِ وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَزَعًا مِمَّا سَبَقَهُ فَيَقْنَى بِهِ تَقْرِيرًا
 لِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَغْرَاضِ أَوْ إِجْمَالًا لِتَفْصِيلِهَا مُورَدًا عَلَى
 وَجْهِ مِنْ وُجُوهِ الْبَلَاغَةِ أَوْ الْكَلَامِ الْجَامِعِ أَوْ مُخْرَجًا مُخْرَجَ
 الْمَثَلِ أَوْ الْحِكْمَةِ أَوْ مَا شَاكَ ذَلِكَ مِمَّا تَعَلَّقَهُ الْخَوَاطِرُ
 وَتَقْيِدُهُ الْأَذْهَانُ . وَهَذَا مِنْ أَوْعَرِ مَسَالِكِ هَذَا النَّوعِ
 وَالظَّافِرُونَ بِقِلَابَتِهِ قَلِيلٌ لِعِزَّتِهِ وَأَمْتِنَاعِهِ وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ

فِي الشَّعْرِ أَوْ مَا يُبْنَى فِيهِ مَخَاهٍ مِنْ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالْحِزَالَةِ
وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتَنِئِيِّ
وَمَا أَخْصَكَ فِي بُرٍّ بَتَهْتَةٍ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ
أَوَّلَى الْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي آسَاكَ فِي الْحُزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كَانَ يَأْلَهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحَشَنِ
وَقَوْلِ الرَّمَّحَشَرِيِّ فِي خِنَامٍ إِحْدَى مَقَالَاتِهِ إِنَّ الطَّيِّشَ
فِي الْكَلَامِ يُتَرْجَمُ عَنْ خِفَةٍ الْأَحْلَامِ وَمَا دَخَلَ الرِّفْقُ شَيْئًا
إِلَّا زَانَهُ وَمَا زَانَ الْمُنْكَلِمَ إِلَّا الرِّزَانَهُ. وَكَقَوْلِهِ فِي خِنَامٍ
أُخْرَى وَمَنْ جَاءَ بِالدَّعْوَةِ يُخْفِيهَا وَيَخَافُ الْمَدْعُوَ فِيهَا
فَيَأْلَاهَا مُحْكَمَةٌ ذَاتُ نِيرَيْنِ مُشْرِقَةٌ ذَاتُ نُورَيْنِ قَدْ أَخْرَجَتْهَا
الْخُفْيَةُ مِنْ بَابِ الرِّثَاءِ وَأَدْخَلَتْهَا الْخُفْيَةُ فِي بَابِ الْإِنْتَاءِ
وَلَكِنَّ النَّاسَ عَنِ التَّحْقِيقِ رُقُودٌ وَالنَّظَرِ الصَّحِيحِ بَيْنَهُمْ
مَقُودٌ. وَأَمَّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَالْأَكْثَرُ فِي هَذَا الضَّرْبِ أَنْ

يُضَمَّنَ غَرَضًا آخَرَ مِنَ الدُّعَاءِ أَوْ عَرَضَ النَّفْسِ عَلَى خِدْمَةِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَوْ تَوَقُّعَ الْجَوَابِ مِنْهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْهَا مُحْتَمِلُهُ
مَقَامَاتُ الْكَلَامِ وَتَقْتَضِيهِ دَوَائِي الْحَالِ وَهِيَ طَرِيقَةُ الْكِتَابِ
وَالْمَوْلَدِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ذَهَابًا إِلَى الْفَالِ أَوْ التَّبَرُّكِ أَوْ
زِيَادَةِ التَّعَبُّبِ وَالتَّقَرُّبِ مِنْ مَقَامِ الْخُطَابِ أَوْ الْمَدْحِ
وَأَكْثَرُ مَا يَخْتُمُونَهَا فِي النَّثْرِ بَعْدَ الْأَعْرَاضِ الْمَذْكُورَةِ
بِقَوْلِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوْ بِنِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ
وَالْأَمْثَلُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ كَقَوْلِ الْقَاضِي
مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي خِتَامِ صُورَةِ عَهْدِ لِلْمَلِكِ
الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدِّينِ خَلِيلٍ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ اسْتِخْلَافَهُ
هَذَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا وَلِلْمُعْتَدِينَ أَنْفِصَامًا وَيُطْفِئُ بِهَاءِ سَيُوفِهِ
نَارَ كُلِّ حَطَبٍ حَتَّى تُصْبِحَ كَمَا أَصْبَحَتْ نَارُ سَمِيهِ بَرْدًا وَسَلَامًا.
وَقَوْلِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَاسِمِ فِي خِتَامِ جَوَابِهِ وَإِنْ
قَسَمْتُكَ الْعَجَلَ لِقَدْرِكَ وَحَمِيمَكَ الْمَتَنَاهِي فِي بَرِّكَ
تَصَفَّحَ ثَنَاءَكَ عَجْدًا وَطَوَّلًا وَأَسْتَوْضَحَ إِخَاءَكَ عَقْدًا وَقَوْلًا
وَأَعْطَاكَ صَفْقَةً يَمِينِهِ عَلَى الْهُدَى وَالْإِكْبَارِ وَوَلَاكَ صَفْوَةً
يَقِينِهِ صَادِقَةً الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ فَلَنْ تَزَالَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ

تَجِدُهُ حَيْثُ تَنْشُدُهُ وَتَعْمَدُهُ عَلَى أَيْمَرٍ مَا تَعْتَقِدُهُ إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ. وَقَوْلِ الْبَدِيعِ الْهَمْدَانِي فِي خِتَامِ رِسَالَةِ وَلِيِّهِ
 الرَّئِيسِ فِي تَشْرِيفِي بِالْجَوَابِ وَتَعْرِيفِ بِسَارِ الْأَخْبَارِ
 وَتَكْلِيفِ سَوَائِحِ الْأَوْطَارِ وَتَصْرِيفِي عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ
 رَأْيُهُ الْمَوْفُقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَمِنْ أَمَلَتِهِ فِي الشَّعْرِ
 قَوْلُ الْمُنَبِّئِ

فَلَا حِطَّتْ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرْجًا
 وَلَا ذَافَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا

وَقَوْلُهُ
 أَيْمٌ سَعْدَكَ مَنْ أَعْطَاكَ أَوَّلَهُ
 وَلَا أَسْتَرِدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

وَقَوْلُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وَصَالَكُمْ
 وَغَايَةُ مَجْهُودِ الْقَلْبِ سَلَامٌ
 وَكَثِيرًا مَا بَخْتُمْ النَّائِرُ بِقَوْلِهِ وَالسَّلَامُ وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ
 الْأَخْصَارِ وَالْإِجَارِ وَيَكْتُرُ اسْتِعْمَالُهُ فِي رَسَائِلِ الْعَتَبِ
 وَالْمَوْجِدَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَقَدْ بَخْتُمْ بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

إِلَّا بِاللَّهِ أَوْ يَقُولِهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ أَوْ وَاتَّخِذِ لِلَّهِ أَوْ وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَالُ . وَرَبُّهَا خَتَمَ بِمِثْلِ
 أَوْ بَيَّتَ مِنَ الشَّعْرِ وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي خِتَامِ
 رِسَالَةٍ . وَلَقَدْ سَلَكَ الْأَمِيرُ مِنَ الْكُرْمِ طَرِيقًا يَسْتَوْحِشُ
 فِيهَا لِلَّهِ سَالِكِيهَا وَبَيْتُهُ فِي قِفَارِهَا لِدُرُوسِ آثَارِهَا
 وَأَنْهَدَامِ مَنَارِهَا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ وَقِلَّةِ الرَّفِيقِ
 وَالْهَمَّةِ صَبْرًا يَهْوَنُ عَلَيْهِ أَحْزَابُ الْمَغَارِمِ وَيَقْرَبُ عَلَيْهِ
 مَسَافَةُ الْمَكَارِمِ . فَيَا لَصَبْرٍ تَنَالُ الْعُلَى وَعِنْدَ الصَّبَاحِ بِحَمْدِ
 الْقَوْمِ السُّرَى . وَقَوْلِهِ أَيْضًا فِي خِتَامِ تَسْلِيَةٍ وَلَكِنَّ الْغَضَبَ
 يُنْسِي الْأَحْرَمَاتِ وَيَدْفِنُ السَّيِّئَاتِ وَيَخْلُقُ لِلْبَرِيءِ جَنَائَاتِ
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ

لَكَالِدَهْرٍ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ
 أَنْتَمَوْا وَفِي هَذَا الْقَدْرِ غَنِيَّةٌ لِلْبَصِيرِ وَفِي تَتَبُعِ رَسَائِلِهِمْ
 وَخُطَبِهِمْ وَدَوَاوِينِ الشُّعْرَاءِ مِنْهُمْ قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا مُؤَوَّنَةٌ
 كَافِيَةٌ بِهِدَايَةِ اللَّهِ وَتَسْدِيدِهِ
 (مصححة)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي شَذَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ الْكُتَّابِ
وَفِيهِ فُصُولٌ

فَصْلٌ

فِي حُسْنِ التَّوَاصُلِ

كُتِبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ
كَتَبْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَنْ ضَمِيرٍ أُنْدَجَجَ عَلَى سِرِّ أَعْتِقَادِكَ
دُرُّهُ وَتَبَلَّجَ فِي أَفْقِي وَدَادِكَ بَدْرُهُ وَرَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ
ثَنَائِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِي رَاحَتِي سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَكِنَّا
ظَفِرْتُ بِفُلَانٍ حَمَلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهْرَ اجْتِنَا بُوَاغِيكَ عَرَفُهُ
ذَكِيًّا وَبُؤَاغِيكَ أَنْسُهُ نَحِيًّا وَيَقْضِي مِنْ حَبْلِكَ قَرْضًا مَا تَبَيَّنَا
عَلَى أَنَّ شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَائِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ لَا
يَبْلُهُ خَاطِرٌ وَلَا يَمَسُّهُ عَرَضٌ دَائِرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَكُتِبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَمِيدِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

قَدْ قَرَّبَ أَيْدِكَ اللَّهُ مُحَلِّكَ عَلَى تَرَاحِيهِ وَتَصَاقِبِ

مُسْتَقْرَكَ عَلَى تَنَائِيهِ لِأَنَّ الشَّوْقَ يُمِثِّلُكَ وَالذِّكْرَ بِجِثْلِكَ
فَتَحْنُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى أَفْتِرَاقِي وَفِي الْبَاطِنِ عَلَى تَلَاقِي وَفِي
التَّسْمِيَةِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي الْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ وَلَئِنْ تَفَارَقْتَ
الْأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَاثَرَتِ الْأَرْوَاحُ

وكتبَ بديعُ الزمانِ المهديُّ إلى القاسمِ الكرّجِيِّ

يَعِزُّ عَلَيَّ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَنْ يَنْوِبَ
فِي خِدْمَتِهِ قَلْبِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْعِدَ بِرُؤْيَيْهِ رَسُولِي دُونَ
وُصُولِي وَيَرِدَ مَشْرَعَةَ الْأَنْسِ بِهِ كِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلَكِنْ
مَا الْحِيلَةُ وَالْعَوَاقِبُ جَمَّةٌ

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ النِّجَاحِ
وَقَدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبِلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبُّ الْحِيطَانِ
وَلَكِنْ شَغَفًا بِالْقُطَّانِ وَلَا عِشْقَ الْجُدْرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى
السَّكَّانِ وَحِينَ عَدَّتِ الْعَوَادِي عَنْهُ أُمَلِّتُ ضَمِيرَ الشَّوْقِ
عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ مُعْتَذِرًا إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرِ
وَقَعَ وَفُتُورٍ فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلَكِنِّي أَقُولُ
إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ ذَنْبًا فَكَفَى أَنْ لَا أَرَاكَ عِقَابًا

وكتب ابو محمد عبد الله البطلوسي الى ابي الحسن بن الاخضر
يا سيدي الأعلى وعيادي الأسنى وحسنة الدهر
المحسني الذي جعل قدره وسار مسير الشمس ذكره ومن
أطال الله بقاءه لفضل يعلي مناره وعلم بجي آثاره نحن
أعزك الله نتداني إخلاصاً وإن تناءينا أشخاصاً وبجمعنا
الأدب وإن فرقنا النسب فالأشكال أقارب والآداب
مناسب وليس يضر تناءي الأشباح إذا تقاربت الأرواح
وما مثلنا في هذا الانتظام إلا كما قال أبو تمام

نسيبي في رأيي وعلي ومذهبي

وإن باعدتنا في الأصول المناسب

ولو لم يكن لما نرك ذاكر ولمفاخرنا ناسر إلا ذو الوزارتين
أبو فلان أباه الله لقام لك مقام سحبان وإيل وأغناك
عن قول كل قائل فإنه يمد في مضمار ذكرك بأعرا حياً
ويقوم بخورك في كل ناد خطيباً حتى يثني إليك الأحداق
ويلوي نحوك الأعناق فكيف وما ينطق إلا بالذي علمت
سعد وما تقرر في النفوس من قبل ومن بعد فذكرك قد
أنجد وأغار ولم يسرفلك حيث سار وإن ليل جهل

أُطْلِعْتَ فِيهِ فَجَرَ تَبْصِيرِكَ لِحْدِيرِهِ بِأَنْ يَصِيرَ نَهَارًا وَإِنْ نَعَى
فَكَرَّ قَدَحَهُ بِتَذْكِيرِكَ لِحْدِيرِهِ بِأَنْ يَعُودَ مَرْخًا وَعَفَارًا فَهَيْئًا
لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ الْقَدَمِ شَاخُ الْعِلْمِ
مَنْشُورُ اللَّوَاءِ مَشْهُورُ الذِّكَا مَلِيَّتِ الْأَدَابُ عُمَرُكَ
وَلَا عَدَمَتِ الْأَلْبَابُ ذِكْرُكَ وَرَقِيَّتِ مِنَ الْمَرَاتِبِ أَعْلَاهَا
وَلَقِيَّتِ مِنَ الْمَارِبِ أَفْصَاهَا بِفَضْلِ اللَّهِ

والمصحح إلى صديق له

مَا زِلْتُ أَدَافِجُ النَّفْسَ فِيهَا تَقَاضَايَ مِنْ شَكْوَى
أَشْوَأَهَا وَفِي الشَّكْوَى شِفَاؤُهَا وَأَسْتَنْزِلُ أَثَرٍ مِنْ لَدُنْكَ تَعَلَّلُ
بِهِ مَسَافَةَ الْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِاللِّقَاءِ وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا
مَسَادُهُ قَدْ شَغَلَتْ الذَّرْعَ وَشَوَاغِلُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ دُونِهَا الْوَسْعُ
إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ الْوَجْدِ عَلَى مَعَاقِلِ الصَّبْرِ وَزَاخَمَ مَنَاكِبَ
الْعُدُوِّ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابُهُ بَيْنَ الْحِجَابِ وَالصَّدْرِ فَاتَّخَذْتُ
هَذِهِ الرُّقْعَةَ أَزْجِيهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وَفْرِ الشَّوْقِ مَا يُنَوِّدُ
بِرَسُولِهَا وَمِنْ رِقَّةِ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يَخْلِفُهَا
فِيصَافِحِ الْأَعْنَابِ قَبْلَ وُصُولِهَا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِمَا عَهْدَ
فِي سَيِّدِي مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالْيَشْرِ وَأَنْ لَا يَضِنَّ عَلَيْهَا بِمَا

عَوَّدَنِي مِنْ تَهْمِيدِ الْعُذْرِ وَيَصْلِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَاءِ الطَّيِّبَةِ
عَائِدَةٍ عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّظَرِ قُرَّةً وَلِلخَاطِرِ مَسْرَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وله

وَأَقَالِي كِتَابَكَ الْعَزِيزُ فَأَهْلًا بِكَرَمِ رَسُولٍ جَاءَ
بِبَيِّنَاتِ الْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ بَدْيِهِ مِنْ
ذِمَّةِ الْوَدَادِ وَالْإِخَاءِ يَتْلُو عَلَيَّ مِنْ حَدِيثِ الشُّوقِ مَا شَهِدَ
بِصِحِّهِ سَقَمِي وَهَتَفَ مُوَدَّنُهُ فِي كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْ جِسْمِي
وَيُذَكِّرُنِي مِنْ عَهْدِكَ مَا طَالَ مَا أَذْكَرَنِيهِ الْبَرَقُ إِذَا لَمَعَ
وَالْبَدْرُ إِذَا طَلَعَ وَالْقَهْرُ إِذَا سَجَعَ وَإِنَّمَا عَدَانِي عَنْكَ
مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مُجَادَبَةِ الشَّوَاعِلِ وَمَسَاوِرَةِ الْبَلَابِلِ
وَفِي الْقَلْبِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ شَجَنِ الْهَوَى
تَبَدَّلَتِ الْحَالَاتُ وَهُوَ مُقِيمٌ

وَأَنَا عَلَى مَا بِي مِنْ غَلِّ الْبَنَانِ وَشُغْلِ الْجَنَانِ مَا زَالَتِ
أَنْبَاؤُكَ عِنْدِي لَا يَخْطِئُنِي بَرِيدُهَا وَلَا يَنْقَطِعُ عَنِّي وُرُودُهَا
أَهْنَى النَّفْسِ مِنْهَا بِمَا تَهْنَى لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ لَا يَرِثُ لَهَا شِعَارُ
وَإِقْبَالِ لَا يَعْتَرِضُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِدْبَارُ وَقُصَارَى الْمَأْمُولِ
فِي كَرَمِكَ أَنْ تُعَامِلَنِي بِمَا سَبَقَ لَكَ مِنْ جَمِيلِ الصِّلَةِ إِلَى

أَنْ يَمُرَّ اللَّهُ بِالْإِجْمَاعِ وَيُغْنِيَ بِالْعِيَانِ عَنِ السَّمْعِ
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى أبي الوفاء صاحب جيش عضد الدولة
كتابي وأنا بهما يبلغني من صالح أخبار الشيخ مغنيط
مسرور وبما يعرفه الزمان وأهله من اعتصادي به مضمون
مؤفور والله على الأولي محمود وعلى الأخرى مشكور
التطفل وإن كان محظورا في غير مواطنه فإنه مباح في
أماكنه وهو وإن كان في بعض الأحوال يجمع عارا ووزرا
فإنه في بعضها يجمع فخرا وذخرا ورب فعل يصاب به
وقته فيكون سنة وهو في غير وقته بدعة وقد تطلعت على
الشيخ بهذه الأحرف أخطب بها مودته إليه وأعرض
فيها مودتي عليه وأسأله أن يرسم لي في إساني وقلبي رسما
ويختتم عليهما ختما فقد جعلتهما باسمه وقصرتهما على
حكمه وسأضعهما تحت ختمه وبرئت إليه منهما وصرت
وكيله فيهما فهما على غيره حي لا يقرب وبحيرة لا تحلب
ولا تركب ولما نظرت إلى آثار الشيخ على الأحرار
ونشرت طراز محاسنه من أيدي القاصدين والزوار رأيت

نَفْسِي غُفْلًا مِنْ سِمَةِ مَوَدَّتِهِ وَعُطْلًا مِنْ جَمَالِ عِشْرَتِهِ حِمِيَّتِهَا
مِنْ أَنْ يُجْحَى عَلَيْهَا وَرَدُّ مَوْرُودٍ وَيُحْسَرَ عَنْهَا ظِلٌّ عَلَى
الْجَمِيعِ مَهْدُودٌ وَنَجِيثٌ مِنْ

سَحَابِ خَطَائِي جُودُهُ وَهُوَ صَيِّبٌ
وَبَجْرِ عَدَائِي سَيْلُهُ وَهُوَ مُنْعَمٌ
وَبَدْرِ أَضَاءِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَمَوْضِعِ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ

—•••••—

فَصْلٌ

فِي الْأَسْتِعْطَافِ وَالْإِعْتِنَاءِ

كتب عمرو بن بحر الجاحظ إلى ابن أبي دؤاد

لَيْسَ عِنْدِي أَعَزُّكَ اللَّهُ سَبَبٌ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلَّا
مَا طَبَعَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالْتِمَائِلِ الَّذِي لَا
يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ وَاثْبَاتِ الْفَضْلِ بِجَالِ
الْهَامُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعَتَقَاءِ الشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ
خَيْرَ مُعْتَبٍ وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ . وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ
هَذَا الْأَمْرَ سَبَبًا لِهَذَا الْإِنْعَامِ وَهَذَا الْإِنْعَامَ سَبَبًا لِلْإِنْقِطَاعِ .

إِلَيْكُمْ وَالْكَوْنُ تَحْتَ أَجْنَحِكُمْ فَيَكُونُ لَا أَعْظَمَ بَرَكَةً وَلَا
 أَنْبَى بَقِيَّةً مِنْ ذَنْبٍ أَصْنَحْتُ فِيهِ وَبِهَيْثُكَ جُعِلَتْ فِدَاكَ عَادَ
 الذَّنْبُ وَسِيلَةً وَالسَّيِّئَةُ حَسَنَةً وَمِثْلُكَ مَنْ أَتَقَلَّبَ بِهِ الشَّرُّ
 خَيْرًا وَالْغَرَمُ غَنَمًا مَنْ عَاقَبَ فَقَدْ أَخَذَ حَظَّهُ وَإِنَّمَا الْأَجْرُ
 فِي الْآخِرَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدَرِ الْإِحْسَانِ
 وَتَجَرَّعَ الْمَرَّائِرِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَضِيعَ وَأَهْلِكَ فِيهَا بَيْنَ
 كَرَمِكَ وَعَقْلِكَ وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْفُو عَنْ صَغُرِ ذَنْبِهِ وَعَظُمِ
 حَقُّهُ وَإِنَّمَا الْفَضْلُ وَالثَنَاءُ الْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ الْجُرْمِ ضَعِيفِ
 الْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ الْعَفْوُ الْعَظِيمُ مُسْتَطَرَفًا مِنْ غَيْرِكُمْ فَهُوَ
 تِلَادٌ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّمَا دَعَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَى خِيَانَةِ
 أَمْرِكُمْ فَلَا بُدَّ لَكُمْ عَنْ ذَلِكَ تَنْكُلُونَ وَلَا عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ
 تَنْدُمُونَ وَلَا مِثْلُكُمْ إِلَّا كَمِثْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لَا
 يَهُدَى بِمَلَايِمِ بْنِ إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَسْمَعُوهُ شَرًّا وَأَسْمَعُوهُ خَيْرًا
 فَقَالَ لَهُ شَعْمُونُ الصَّفَا مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ كُلَّمَا أَسْمَعُوكَ شَرًّا
 أَسْمَعْتُهُمْ خَيْرًا فَقَالَ كُلُّ أَمْرٍ يَنْفِقُ مِمَّا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ
 إِلَّا الْخَيْرُ وَلَا فِي أَوْعِيَتِكُمْ إِلَّا الرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي
 فِيهِ يَنْضَجُ

وكتب الى رجل

زَيْنَكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى . مَنْ عَاقَبَ أَبْقَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةً
الْكَبِيرَةِ وَعَلَى الْهَفْوَةِ عُقُوبَةً الْأَصْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ .
مَنْ لَمْ يَفْرِقْ بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي وَالْأَدَانِي وَالْأَفَاصِي
فَقَدْ قَصَرَ . وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرْفَ الرِّضَى مَخَافَةَ أَنْ
يُؤَدِّيَ إِلَى سَرْفِ الْهَوَى فَمَا ظَنُّكَ بِسَرْفِ الْغَيْظِ وَغَلَبَةِ
الْغَضَبِ مِنْ طِيَّاشٍ تَجُولُ فِيمَاشٍ وَمَعَهُ مِنَ التُّخْرُقِ بِقَدَرِ
قِسْطِهِ مِنَ النَّهَابِ الْمُبْتَرَأِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ
وَكَذَلِكَ جِنْسُكَ وَنَوْعُكَ إِلَّا أَنَّ التَّأَثُّرَ فِي الرِّقَاقِ أَسْرَعُ
وَضِدُّهُ فِي الْعِلَاقِ الْخَفَاءِ أَكْمَلُ وَلِذَلِكَ أَشَدُّ جَزَعِي عَلَيْكَ
مِنْ سُلْطَانِ الْغَيْظِ وَغَلَبَتِهِ . فَإِذَا أَرَدْتُ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ
الذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَأَنْظُرْ فِي عِلَّتِهِ وَفِي
سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِي مِنْهُ نَجَمَ وَعُشْبُهُ الَّذِي مِنْهُ
دَرَجَ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي التَّسْرُعِ وَالنَّبَاتِ وَإِلَى حِلْمِهِ
عِنْدَ التَّعَرِّضِ وَفِطْنَتِهِ عِنْدَ التَّوْبَةِ . فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ
ضِيقَ صَدْرٍ مِنْ جِهَةِ الْفَيْضِ فِي الْمَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ

أَلَا نَفَهُ وَغَلَبَةَ طِبَاعِ الْحَمِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْجَفْوَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
 اسْتِحْقَاقِهِ أَوْ كَانَ مَبْلَغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا
 فِيهِ غَيْرَ مُمْتَنِعٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ فَلَيْسَ
 يَكْفُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ أَسْمِيهِ بِكَثْرَةِ
 مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلْمِهِ وَعِلْمُهُ غَالِبًا عَلَى
 طِبَاعِهِ كَمَا لَا أَسْمِيهِ بِكَفِّ الْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا
 بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَنْى وَجَدْتَ الذَّنْبَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا
 سَبَبَ لَهُ إِلَّا الْبُغْضُ الْخَصْصُ وَالنِّفَارُ الْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ
 لِصَاحِبِهِ بِعِقَابٍ دُونَ قَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ
 وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالِمٌ مِنَ الْأَشْرَافِ. وَالْآنَاةُ أَقْرَبُ مِنَ
 الْحَمْدِ وَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ وَأَنَايٌ مِنْ خَوْفِ الْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ
 الْأَوَّلُ عَلَيْكَ بِالْآنَاةِ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْهُ أَقْدَرُ
 مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ الْغَضَبَ أَيَّامَ
 شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلَّا صَرَعَهُ وَلَا يُنَازِعُهُ قَبْلَ أَنْ يَهَاجِرَ إِلَّا قَهَرُهُ
 وَإِنَّمَا يُجْنَلُ لَهُ قَبْلَ هَيْجِهِ فَمَتَى تَمَكَّنَ وَاسْتَفْعَلَ وَأَذَكَّى
 نَارَهُ وَأَشْعَلَ ثُمَّ لَاقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَمْعًا
 وَطَاعَةً فَلَوْ اسْتَبَطَّتْهُ بِالْتَّوَرَةِ وَأَوْجَرَتْهُ بِالْإِنْجِيلِ وَلَدَدَّتْهُ

بِالزُّبُورِ وَأَفْرَغْتَ عَلَى رَأْسِهِ الْقُرْآنَ إِفْرَاقًا وَأَتَيْتَهُ بِآدَمَ
شَفِيعًا لَهَا أَقْصَرَ دُونَ أَقْصَى قُوَّتِهِ وَلَكِنْ يُسَكِّنُ غَضَبَ الْعَبْدِ
إِلَّا ذِكْرَهُ غَضَبَ الرَّبِّ . فَلَا تَقِفْ حَفْظَكَ اللَّهُ بَعْدَ مُضِيِّكَ
فِي عِنَابِي التَّهَامِ لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلَا تُقْصِرْ عَن إِفْرَاطِكَ مِنْ
طَرِيقِ الرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وَقِفَةً مِنْ يَتِيمِ الْغَضَبِ عَلَى
عَقْلِهِ وَالشَّيْطَانِ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَرَمِ أَعْدَاءَ وَيُمْسِكُ
إِمْسَاكَ مَنْ لَا يَبْرِي نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَلَا يَبْرِي الْهَوَى مِنَ
الْخَطَا . وَلَا تُنْكِرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَقْلِكَ أَنْ يَهْفُو فَقَدْ زَلَّ
آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ . وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ
إِلَّا رَيْشَمًا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ ذَهْنُكَ وَتَرَى الْحِلْمَ
وَمَا يَجْلِبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَطِيبِ الْأَحْدُوثَةِ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَكَفَى بِهِ عَلَيْهِمَا لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْدِيكَ بِنَفْسِي فِي مَكَاتِبَائِي
وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِي فِي عِدَادِ الْهَوَى وَفِي حِيزِ الْهَلَكَى فَرَأَيْتُ
أَنْ مِنْ الْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنْ اللَّوْمِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنْ أَفْدِيكَ
بِنَفْسٍ مَيْتَةٍ وَأَنْ أُرِيكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذَخِرٍ
وَالذُّخْرُ مَعْدُومٌ . وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو تَقِيْبٍ مَوَدَّةُ
الْآخِ التَّالِدِ وَإِنْ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوَدَّةِ الْآخِ الطَّارِفِ

وَإِنْ ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَأَقَتْ جِدَّتُهُ سَلَّمَكَ اللَّهُ وَسَلَّمَ
عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ

وكتب بعضهم الى أمير

أَنَا مَنْ لَا يُحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُغَالِطُكَ فِي جُرْمِهِ
وَلَا يُلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَفْوِكَ وَلَا يَسْتَعْظِيكَ إِلَّا
بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَلَا يَسْتَهِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ بِالزَّلَّةِ
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوُ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِيَّمَا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي فَمَا لَهُ غَيْرُكَ مِنْ غَافِرٍ
أَعُوذُ بِالْوُدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسُدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وكتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء

نَبَتْ بِي غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجَرُّبَةُ وَقَادَتْنِي
الضَّرُورَةُ ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ
لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي
سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الصَّغْحِ عَنِّي فَرَاغِجْ فِي مَجْدِكَ وَسُودْدِكَ
وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْفِقًا أَذِلُّ مِنْ مَوْفِقِي لَوْلَا أَنَّ الْخُاطِبَةَ فِيهِ
لَكَ وَلَا خُطَّةً أَدْنَى مِنْ خُطَّتِي لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى أبي علي البجلي لما طال عتابه وكثرت
رفاعة اليه

لَوْ بَغَيْرِ الْمَاءِ حَلَفِي شَرِقْ

كُنْتُ كَالْغَصَانِ بِالْمَاءِ أَغْصَارِي

كَيْفَ يَقْدِرُ أَتَى اللَّهُ الشَّيْخَ عَلَى الدَّوَاءِ مَنْ لَا يَهْتَدِي
إِلَى أَوْجِهِ الدَّاءِ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ
الْأَصْدِقَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَكَيْفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ الْفَرْحَةِ الْعَمِيَاءِ
أَمْ كَيْفَ يَسْرِي بِلَا دَلِيلٍ فِي الظُّلُمَاءِ أَمْ كَيْفَ يُخْرِجُ
الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الْكَرِيمُ أَيْدَى اللَّهِ الشَّيْخَ
إِذَا قَدَرَ غَفَرَ وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ وَإِذَا أَسْرَأَ أَعْتَقَ وَلَقَدْ
هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ
حَيَاتِي وَمَمَاتِي بِيَدِهِ فَلْيَذِقْنِي حَلَاوَةَ رِضَاهُ عَنِّي كَمَا أَذَقَنِي
مَرَارَةَ انْتِقَامِهِ مِنِّي وَلْيُلْخِ عَلَى حَالِهِ غُرَّةَ عَفْوِهِ كَمَا لَاحَتْ
عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْحَرَّ كَرِيمُ الظَّفَرِ
إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّئِيمَ لَتُئِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ
وَلْيَغْنِمِ التَّجَاوُزَ عَنْ عَنَرَاتِ الْأَحْرَارِ وَلْيَنْتَهِزْ فُرْصَ
الْإِقْتِدَارِ وَلْيَحْمَدِ اللَّهَ الَّذِي أَقَامَهُ مُقَامَ مَنْ يُرْتَجَى وَيُخْشَى

وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِي رُتْبَةِ شَابِ الزَّمَانِ وَمَجْدُهَا فِتْنِي وَأَخْلَقَ
 الْعَالَمَ وَذَكَرَهَا طَرِيقِي فَجَعَلَهُ فِي الْبِلَادِ كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِي
 الرُّتْبَةِ قَدْرَتَهَا وَجَلِيلَهَا وَلَبَعَنَدُ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مِنْ أَسْتَرٍ وَلَمْ
 يُذْنِبْ إِلَيْهِ مَنْ أَعْذَرَ وَأَنَّ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُدْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ
 إِلَى الشَّجَاعَةِ بَعْدَ الْحُبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْبَقِيْنِ
 مِنْ سِتْرَةِ الظَّنِّ وَفَقَّ اللَّهُ الشَّيْخَ لَهَا بِحَفْظِ عَلَيْهِ قُلُوبَ
 أَوْلِيَائِهِ وَعَصَمَهُ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَمَاهِمِ أَعْدَائِهِ
 وَلَيْسَ بَيْنَ الْمَوْلَاةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلَّا لَفْظَةٌ بَشْعَةٌ أَوْ لَفْظَةٌ
 قَذَعَةٌ

والمصحح الى بعض اصفيائهم

وَإِقَالِي كِتَابَكَ الْعَزِيزُ وَالنَّفْسُ نَارِعَةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ
 نِفَارَهَا وَالْفَرْجَةُ نَائِقَةٌ إِلَى مَا يَشْخِذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةٌ
 بِاسْمَةِ الْكَمَامِ فَاحِجَةُ النَّسَائِمِ قَدَرَدَتْ عَلَى النَّفْسِ أَنْ يَسَاطَهَا
 وَأَحْيَتْ الْبَادِرَةَ فَاسْتَأْنَفَتْ نَشَاطَهَا فَأَنَامَتْهُ مَا بَيْنَ وَشْيِ
 مُجَلِّ طِرَازِ الْعَبْقَرِيَّةِ وَزُخْرَفِ دُونِهِ نَضْرَةُ السَّابِرِيَّةِ
 تُنَاجِبُنِي مِنْهُ رَشَاقَةُ الْفَاطِ تَنْضَحُ قُدُودَ الْحَسَانِ وَغَضَاضَةُ
 أَنْفَاسٍ يَغَارُ مِنْهَا وَرَدُ الْحِنَانِ وَرِقَّةُ خِطَابِ يَشْفُ عَنْ

وَدِّ صَفِيٍّ وَلُطْفِ حَفِيٍّ وَكَرَمٍ وَفِيٍّ وَعَنْبٍ أَعَذَبَ مِنَ
 الْمَاءِ الْقَرَّاحِ وَأَرْقٍ مِنْ نَسَمَاتِ الصَّبَا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى
 لَقَدْ حَبَّبَ إِلَيَّ تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قَبُولِ مَعَاذِيرِي
 عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي مِنَ الْوَلَاءِ لَا يَعْتَرِبُهُ مَعَاذُ اللَّهِ وَهَنٌْ وَلَا
 بَخْلُهُ تَمَادِي زَمَنِ أَوْ تَرَامِي وَطَنِ وَلَكِنْ صُرُوفُ
 الْأَحْدَاثِ قَدْ قَصَرَتْ الْجُهْدُ وَصَرَفَتْ جَوَادِ الْعَزِيمَةِ عَنِ
 الْقَصْدِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ الدَّهْرِ
 وَلَمْ أُدَافِعْ طَلَائِعَهَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سَاقَةِ الصَّبْرِ لَمَا كَانَ فِي
 هِمَّتِي إِلَّا كَسْرُ الْبِرَاعِ وَهَجْرُ الْعَجَائِرِ وَالرِّقَاعِ وَحَسَنِي
 مِنَ الْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ حِلِّكَ الْمَالُوفِ وَمَا أَلْفَنُهُ مِنْ
 كَرَمِكَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُبْقِيَكَ لِي مِنَ الدَّهْرِ
 نَصِيبًا وَيُمَتِّعَنِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وله ايضاً

يَمْ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا وَكَيْفَ يَسْتَرْ
 مِنْ عَنَيْكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِدُنْيِهِ سِتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعَتَبِ
 تَعْنِيفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبِعَةٍ تَقْصِيرِي وَمَا
 حُلْتُ بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

كَانَ تَقْصِيرِي شَيْئًا أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَفْرِيطِي أَمْرًا قَصَدْتُهُ
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ إِن صَاحَبَتْهَا لَمْ تُصِيبْ وَإِن عَاتَبَتْهَا لَمْ
تُعْتَبْ فَلَقَدْ عِبَرْتُ بِهَذِهِ الْبُرْهَةِ كُلِّهَا وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلٍ
لَا يَشْغُلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلٍ قَدْ أَخْلَطَ حَالُهَا بِأَلْبَابِلٍ
فَنَازَعَتْهَا هَذِهِ النَّهْزَةُ الْيَسِيرَةُ أَجْدَدُ فِيهَا صِلَةَ التَّذْكِرَةِ إِلَى
أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِصِلَةِ الْحَبْلِ وَاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ وَأَسْتَنْزِلُ
أَحْرَفًا مِنْ خَطِّكَ يَكْتُمِلُ بِهَا النَّظَرُ وَيَأْنِسُ إِلَيْهَا الْخَاطِرُ
مُتَوَقِّعًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَتَى بَيْنَ يَدَيَّ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ
لَا يَكُونَ عَجْزِي لَدَيْكَ شَيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تَجْزِيَ بِي عَلَى
عَادَةِ حِلْمِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ وَيُغْنِيَ الْعَيْنَ
عَنِ الْأَثَرِ بِالْعَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

—>o<—

فَصْلٌ

فِي الْعِتَابِ

وكتب ابو الفضل بديع الزمان الهمداني الى ابي جعفر الميكالي
لئن ساء لي ان نلتني بمساءة لقد سررتني اني خطرت ببالك
الا مبدأ طال الله بقاءه الى آخر الدعاء في حالتي

بِرِّهِ وَجَفَائِهِ مُنْفَضِلٌ وَفِي يَوْمِي إِدْنَائِهِ وَإِبْعَادِهِ مُسْنِنٌ
 وَهَيْئَتُهُ مِنْ حِمَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ غُرَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا
 مَا يَسْتَحِلُّهُ بَلَّغَنِي أَنَّهُ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَسْتَزَادَ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ
 أَظُنُّنِي مُحْنِيًّا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا فِي قَرَارَةِ الذَّنْبِ
 وَمَشَارَةِ الْعُتْبِ وَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ مُحْظُورٍ فِي الْعِشْرَةِ حَضَرَتْهُ
 أَوْ مَفْرُوضٍ مِنْ أَلْخِدْمَةِ رَفَضَتْهُ أَوْ وَاجِبٍ فِي الزِّيَارَةِ
 أَهْمَلَتْهُ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ مَنْزِعٌ شَاسِعٌ وَأَدَّاهُ
 أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحَدَّاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قَلَّ وَهَدَّاهُ رَأْيٌ وَإِنْ
 ضَلَّ ثُمَّ لَمْ يُلْتِ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحَلَهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ
 حَبَلَهُ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ
 شُكْرُهُ ثُمَّ مَا بَعْدَتْ صَحْبَةُ إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةٌ وَلَا زَادَتْ حُرْمَةٌ
 إِلَّا تَقَصَّتْ صِيَانَةٌ وَلَا تَضَاعَفَتْ مَنَّةٌ إِلَّا تَرَا جَعَتْ مَنَزَلَةٌ
 حَتَّى صَارَ وَابِلُ الْأَعْظَامِ قَطْرَةً وَعَادَ قَبِيضُ الْقِيَامِ
 صُدْرَةً وَدَخَلَتْ مَجْلِسُهُ وَحَوْلُهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَتِيبَةٌ فَصَارَ
 ذَلِكَ التَّقَرُّيبُ أَرْوَرًا وَذَلِكَ السَّلَامُ أَخْصَارًا وَالْإِهْتِرَازُ
 إِيْمَاءً وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً وَحِينَ عَاتَبْتُهُ أَمَلٌ إِنْغَابُهُ
 وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِيْجَابَهُ أَجَابَ بِالسُّكُوتِ

فَمَا أَزِدْتُ لَهُ إِلَّا وَلَاَ وَعَلَيْهِ إِلَّا ثَنَاءً لَا جَرَمَ أَنِّي الْيَوْمَ
 أَبْيَضُ وَجْهَ الْعَهْدِ وَاضِحُ حُجَّةِ الْوُدِّ طَوِيلُ إِسَانِ
 الْقَوْلِ رَفِيعُ حُكْمِ الْعُذْرِ وَقَدْ حَمَلْتُ فُلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ
 مَا تَجَافَى الْقَلَمُ عَنْهُ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
 يُنْعِمُ بِالْإِصْغَاءِ لِمَا يُورَدُهُ مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وله الى القاسم الكرجي

أَنَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَإِنْ لَمْ
 أَلْقَ تَطَاوُلَ الْأَخْوَانِ إِلَّا بِالطَّوْلِ وَتَحَامُلَ الْأَحْرَارِ
 إِلَّا بِالتَّحْمُلِ أَحَاسِبُ الشَّيْخِ أَيَّدَهُ اللَّهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ ضِنًا
 بِمَا عَقَدْتُ يَدِي عَلَيْهِ مِنَ الظَّنِّ بِهِ وَالتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ
 وَلَوْلَا ذَلِكَ لَهَلْتُ فِي الْأَرْضِ حَبَالًا إِنْ ضَاقَتْ ظِلَالُكَ
 وَفِي النَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رَأَيْتُ حِبَالُكَ وَأَوَّخِدُهُ بِأَفْعَالِهِ
 فَإِنْ أَعَارَنِي أَذْنَا وَاعِيَةً وَنَفْسًا مُرَاعِيَةً وَقَلْبًا مُتَعِظًا
 وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَنَزُوعًا عَنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي يَفْرَعُهُ
 وَنَزُولًا عَنِ الصَّعُودِ الَّذِي يَفْرَعُهُ فَرَشْتُ لِمَوَدَّتِهِ خِيَانَ
 صَدْرِي وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَصْرِي وَجَمَاعِعَ عُمْرِي
 وَإِنْ رَكِبَ مِنَ التَّعَالِي غَيْرَ مَرْكَبِهِ وَذَهَبَ مِنَ التَّغَالِي

فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ أَقْطَعْتُهُ خِطَّةَ أَخْلَاقِهِ وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ
إِعْرَاضِهِ وَأَنْكَفَأْتُ

لَا أَزُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوتُ الْمَرْءَ مِنْ نَهْرِهِ
فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي مُقْتَبِلِ السِّنِّ وَالْعُمُرِ قَدْ حَلَيْتُ شَطْرِي
الْدَّهْرَ وَرَكِبْتُ ظَهْرِي الْبَرَّ وَالْجَبْرَ وَلَقِيتُ وَفْدِي الْخَيْرَ
وَالشَّرَّ وَصَافَحْتُ يَدَيِ النَّفْعِ وَالضَّرِّ وَضَرَبْتُ إِبْطِي
الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَبَلَوتُ طَعْمِي الْحَلَوَّ وَالْمُرَّ وَرَضِعْتُ
ضَرْعِي الْعُرْفِ وَالنَّكْرِ فَمَا تَكَادُ الْأَيَّامُ تُرِينِي مِنْ أَعْمَالِهَا
غَرِيبًا وَتُسَمِّعُنِي مِنْ أَحْوَالِهَا عَجِيبًا وَلَقِيتُ الْأَفْرَادَ
وَطَرَحْتُ الْأَحَادَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا مَلَأْتُ حَافَتِي سَمْعِهِ
وَبَصَرِهِ وَشَغَلْتُ حِيزِي فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَأَثَقَلْتُ كِفْلَهُ فِي
الْحَزَنِ وَكَفَّنْتُهُ فِي الْوِزَنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ الْقَرْنَ صَحِيفَتِي
أَوْ لَتَمَّتْ صَفِيفَتِي فَمَا لِي صَغُرْتُ هَذَا الصِّغَرِ فِي عَيْنِهِ وَمَا الَّذِي
أَزْرَى بِي عِنْدَهُ حَتَّى أَخَجَبَ وَقَدْ قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ
حَضَرْتُهُ أَنَا أَحَاشِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ أَوْ يَجْعَدَ فَضْلَ
الْعِلْمِ أَوْ يَمْنَطِي ظَهْرَ التَّيْبِ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يَخْتَصِّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِعْظَامِ إِنْ زَلَّتْ بِي مَرَّةً قَدَمٌ فِي

قَصْدِهِ وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهَذِهِ الْخُاطِبَةِ الْمُتَحَفِّفَةِ وَالرُّتْبَةِ
الْمُتَحَفِّفَةِ وَهُوَ فِي جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرُ فَإِنْ أَقْلَعَ عَنْ عَادَتِهِ
وَنَزَعَ عَنْ شِبْهِتِهِ فِي الْجَفَاءِ فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ الْأُسْتَاذِ
الْفَاضِلِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ

وكتب المجاحظ الى فليس المغربي

وَاللَّهُ يَا قَلِيبُ لَوْلَا أَنَّ كَبِيدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ
وَرَوْحِي بِكَ مَحْبُورَةٌ كَسَا جُلُوكَ هَذِهِ الْقَطِيعَةَ وَمَادَدْتُكَ
حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدِيلُ صَبْرِي مِنْ
جَفَائِكَ فَيَرْدُّكَ إِلَى مَوَدَّتِي وَأَنْفُ الْقَلْبِ رَاغِبٌ فَقَدْ طَالَ
الْعَهْدُ بِالْإِجْمَاعِ حَتَّى كِدْنَا نَتَنَاسَرُ عِنْدَ الْأَلْفَاءِ

وكتب بعضهم

لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تُخْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ
إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُتُبِي
وَأَحْبَبَسَ جَوَابَاتِي عَنِّي وَلَكِنَّ الثِّقَةَ بِمَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعْذِرُكَ
وَتُحَسِّنُ مَا يُنْجِيهِ جَفَاؤُكَ وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

وكتب آخر الى بعض إخوانه

أَلْهِمَّكَ اللَّهُ مِنَ الرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْفَضْلِ

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَازَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلَدْنَاهُ عِيَانَ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى
بِالذَّنْبِ مِنْهُ وَلَكِنْ تَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَتَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين

الى بعض اخوانه

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ
فِيكَ أَبَدًا تَنِي بِطُفٍّ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَنْقَبَتْهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ
ذَنْبٍ فَأَطْمَعَنِي أَوْلُكَ فِي إِخَائِكَ وَأَيَّاسَنِي آخِرُكَ مِنْ
وَقَائِكَ فَسُبْحَانَ مَنْ كَوْنُ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ
الرَّأْيِ فِيكَ فَأَقَمْنَا عَلَى أَثِلَافٍ وَأَفْتَرَقْنَا عَلَى أَخِثَلِافٍ

وكتب احمد بن يوسف الى بعضهم

لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْصَائِكَ
عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنْ الطَّلَبِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ أُمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنْ
الرَّجَاءِ عَلَيَّ بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَى
الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرْمُكَ مُذَكِّرًا
وَسُودُوكَ شَافِعًا

وكتب العتاي الى بعض اخوانه

لَوْ أَعْنَصَمَ شَوْقِي إِلَيْكَ بِمِثْلِ سُلُوكِ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَ

الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ وَلَمْ أَتَجَشَّمْ مَرَارَةَ نَمَادِيكَ وَلَكِنْ اسْتَخَفَّنَا
صَبَابُنَا فَأَحْمَلْنَا قَسَوَتَكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوَدَّتِكَ وَأَنْتَ
أَحَقُّ مِنْ أَقْتَصِّ لِحْصَلَتِنَا مِنْ جَفَائِهِ وَلِشَوْقِنَا مِنْ إِبْطَائِهِ
وَكُتِبَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ إِلَى صَدِيقِهِ لَمَّا تَخَلَّصَ مِنْ يَدِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
كِتَابِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَاءِ خُرُوجَ السَّيْفِ مِنْ
الْجِلَاءِ وَبُرُوزَ الْبَدْرِ مِنَ الظُّلُمَاءِ وَقَدْ فَارَقْتَنِي الْعِجَّةُ
وَهِيَ مُفَارِقٌ لَا يُشْتَاقُ إِلَيْهِ وَوَدَّعْتَنِي وَهِيَ مُودِّعٌ لَا يُبْكِي
عَلَيْهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مِحْنَةٍ بِجَلِيلِهَا وَنِعْمَةٍ يُبِيلُهَا
وَيُؤَلِّمُهَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَمْسَ كِتَابِ الشَّيْخِ بِالتَّسْلِيَةِ وَالْيَوْمَ
بِالتَّهْنِئَةِ فَلَمْ يُكَاتِبْنِي فِي أَيَّامِ الْبُرْحَاءِ بِأَنْهَا غَمَّتْهُ وَلَا
فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ بِأَنْهَا سَرَّتْهُ وَقَدْ اعْتَذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي
وَجَادَلْتُ عَنْهُ قَلْبِي فَقُلْتُ أَمَا إِخْلَالُهُ بِالْأُولَى فَلِأَنَّهُ شَغَلَهُ
الْأَهْتَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخِرَى فَلِأَنَّهُ
أَحَبَّ أَنْ يُوفِّرَ عَلَى مَرْتَبَةِ السَّابِقِ إِلَى الْإِبْتِدَاءِ وَيَقْتَصِرَ بِنَفْسِهِ
عَلَى مَحَلِّ الْإِفْتِدَاءِ لِتَكُونَ نِعَمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ مَوْفُورَةً مِنْ
كُلِّ جِهَةٍ وَمُخَفَّوْفَةٌ بِي مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ
الْإِعْذَارَ عَنْ سَيِّدِي فَلْيَعْرِفْ لِي حَقَّ الْإِحْسَانِ وَلْيَكْتُبْ

إِلَيَّ بِالِاسْتِحْسَانِ وَإِنْ كُنْتُ أَسَاثُ فَلْيُخْبِرْنِي بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ
أَعْرَفُ مِنِّي بِسِرِّهِ وَلَيْزَاصَ مِنِّي بِأَنِّي حَارَبْتُ عَنْهُ قَلْبِي
وَأَعْتَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَانَهُ ذَنْبِي وَقُلْتُ يَا نَفْسِ اعْذِرِي
أَخَاكَ وَخُذِي مِنْهُ مَا أُعْطَاكَ فَمَعَ الْيَوْمَ غَدٌ وَالْعُودُ أَحْمَدُ

—o—

فَصْلٌ

فِي التَّصَلُّ

كُتِبَ اسْمُ الرُّومِيِّ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

تَرَفَّعَ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ
كُنْتُ مُسِيئًا فَوَ اللَّهُ إِنِّي لَا أَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ وَالْتِمَسُ
الْأَفَالَهَ مِنْهَا لَا أَعْرِفُهُ لِيَزْدَادَ نَطْوُلًا وَأَزْدَادَ تَذَلُّلًا وَأَنَا
أَعِيذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشٍ يَكِيدُهَا وَأَحْرُسُهَا
بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُجَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدْرِ وُدِّي لَكَ وَتَحْمَلِي مِنْ رَجَائِكَ بِبَيْتِ
أَسْتَحِقُّ مِنْكَ

وَكُتِبَ آخِرَالِي بَعْضُهُمْ

أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعَفُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَازِيَنِي

بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَّاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَأَشْ. فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تَسْهَلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ
بِالْكَرَمِ وَأَرْغَى لِلْحَقُوقِ وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِلذِّمَّةِ مِنْ
أَنْ تَرُدَّ يَدُ مُوَمِّلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّهُ وَمِنْ عُدْرِكَ
إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لَهُ

وكتب بديع الزمان الهمداني الى ابي علي بن مشكويه

وَيَا عَزَّازَ إِنْ وَأَشْ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ
فَلَا تَمْهَلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ مَهَلًا
كَمَا لَوْ وَشَى وَأَشْ بِعِزَّةٍ عِنْدَنَا
لَقُلْنَا تَرْحُحْ لَا قَرِيْبًا وَلَا أَهْلًا

بَلَّغَنِي أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَ الشَّيْخِ أَنْ عَقَرَبَ الشَّرِّ دَبَّتْ إِلَيْهِ
بِأَحَادِيثَ لَمْ يُعْرِهَا أَلْحَقْ نُورُهُ وَلَا الصِّدْقُ ظُهُورُهُ وَأَنَّهُ
أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَذِنَ لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذُنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِتْنَاءَ ظَنِّهِ
وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَهَا وَأَسْتَحْيِزَ مَعْتُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ
بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ عِنَابٌ لَا يَتَعَدَّى النَّفْسَ وَصَمِيرَهَا
وَحَدِيثٌ لَا يَعْرِفُ الشَّفَّةَ وَصَمِيرَهَا وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا عِنَابُ
لَحْظَةٍ كَعِتَابِ حِجْظَةٍ فَسُبْحَانَ مَنْ رَبَّى هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى

صَارَ أَمْرًا وَتَابَّ طَشْرًا وَأَوْجَبَ عُذْرًا وَأَوْحَشَ حُرًّا
 وَسُجَّانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ الْعَدُوِّ أَشِيمُ بَارِقَتُهُ وَأَسْتَجِبِي
 صَاعِقَتَهُ وَأَنَا الْمُسَاءُ إِلَيْهِ وَالْمُعْجِي عَلَيْهِ لَكِنْ مَنْ بُلِي
 مِنْ الْأَعْدَاءِ بِمِثْلِ مَا بُلِيتُ وَرُبِّي مِنَ الْخَسَدِ بِمَا رُمِيتُ
 وَوَقَفَ مِنَ التَّوْحِدِ وَالْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ
 مِنَ الْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ أَعْتَذَرَ مَظْلُومًا وَنَحِيكَ مَشْتُومًا
 وَلَوْلَا أَنَّ الْعُذْرَ إِقْرَارُ بِمَا قِيلَ وَأَكْرَهُ أَنْ أُسْتَقِيلَ
 لَبَسْتُ فِي الْأَعْتَذَارِ شَادِرًا وَأَنَا وَدَخَلْتُ فِي الْإِسْتِفَالَةِ
 مِيدَانًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضَعْ أَوَّلَهُ فَلَمْ أَتَدَارَكَ آخِرَهُ وَلَعَلَّ
 الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَبَدَهُ اللَّهُ يَقُومُ مِنَ الْأَعْتَذَارِ بِمَا قَعَدَعَنَّهُ
 الْقَلَمُ فَنِعْمَ رَأَيْدُ الْفَضْلِ هُوَ وَالسَّلَامُ

فَصْلٌ

فِي الْمَدْحِ وَالشُّكْرِ

كُتِبَ أَحْمَدُ بْنُ مُكَرَّمٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ الْمَدِينِ

إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَاءِكَ وَنَظَرَ آثِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا
 أَنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ وَيَتَنَافِسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُواكَ

وَقَفُوا دُونَكَ فَزَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلْنَا مِنْ
يَقْبَلُهُ رَأْيِكَ وَيُقَدِّمُهُ اخْتِيَارَكَ وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْجِعِ
مُؤَافَقَتِكَ وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ

وكتب بعضهم

إِنَّ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُشْنِيِّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ
وَلَا يَأْتِي مِنَ التَّقْصِيرِ وَيَأْتِي مَنْ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكَذِبِ وَلَا يَنْتَهِي
بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا

وكتب آخر إلى بعضهم

إِنِّي فِيمَا أَتَعَاظِي مِنْ مَدْحِكَ كَأَلْعُوبٍ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ
الزَّاهِرِ وَالْغَمْرِ الْبَاهِرِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاطِقٍ
وَأَيُّنْتُ أَنِّي حَيْثُ أَنْتَ بِي أَنُؤَلِّ مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ مُقْصِرٌ
عَنِ الْغَايَةِ فَأَنْصَرَفْتُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدُّعَاءِ لَكَ
وَوَكَّلْتُ الْأَخْبَارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِكَ

وكتب ابو الفضل بدیع الزمان الهمداني إلى الشيخ الإمام أبي
الطيب سهل

وَلَمَّا وَقَعَ بِخُرَّاسَانَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَرَى مَا جَرَى
مِنْ خَطْبٍ وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ وَأَخْلَفَتِ السُّيُوفُ وَالْتَمَّتْ

الْجُمُوعُ وَظَفِرَ مِنْ ظَفِرٍ وَخَسِرَ مِنْ خَسِرٍ كَتَبَنِي اللَّهُ فِي
 الْأَعْلَانِ مَقَامًا ثُمَّ أَلْهَمَنِي الْأَمْدَادَ عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ
 وَالْأَقْلَاعِ عَنْ تِلْكَ الْبِنَاقِ وَأَحْسَنَ اللَّهُ الدِّفَاعَ عَنْ
 خَيْرِ الْأَعْلَاقِ وَهُوَ الرَّاسُ بِمَا دُونَ الْأَعْرَاضِ وَهُوَ اللَّبَاسُ
 فَلَمْ نَجْزَعْ لِمَرَضِ الْحَالِ مَعَ سَلَامَةِ النُّفُوسِ وَلَمْ نَحْزَنْ
 لِنَهَابِ الْمَالِ مَعَ بَقَاءِ الرُّؤُوسِ وَسِرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا
 عَرَصَةَ الْعَدْلِ وَسَاحَةَ الْفَضْلِ وَمَرْبَعَ الْحَمْدِ وَمَشْرِعَ
 الْمَجْدِ وَمَطْلِعَ الْجُودِ وَمَنْزِعَ الْأَصْلِ وَمَشْعَرَ الدِّينِ وَمَفْرَعِ
 الشُّكْرِ وَمَصْرَعِ الْفَقْرِ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي أَحْمَدَ
 خَلَفَ بْنِ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضَعْنَاهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَنْبَتَ
 سَبْعَ سَنَابِلٍ وَكَانَ مَا فَقَدْنَاهُ كَأَنَّا أَقْرَضْنَاهُ هَذَا الْمَلِكُ
 الْعَادِلُ وَكَأَنَّمَا سُمِّيَ خَلْفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلْفًا
 وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا جِئْنَاهُ لِيُضِيقَ عَلَيْنَا الْعَالَمَ
 وَيَغْنُصَ إِلَيْنَا بَنِي آدَمَ فَيَجْعَلَ حَسَنًا سَحِيبَتَانِ وَقَيْدَنَا
 الْإِحْسَانَ وَكَأَنَّمَا خَلَقَ لِلدُّنْيَا تَحْجِيلًا وَلِلْمُلُوكِ تَحْجِيلًا
 وَكَأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ قَدْ أَحْسَنَ عَمَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْمَلِكُ
 ثَوَابَهُ وَكَأَنَّ هَذَا الْمَلِكَ قَدْ أَذْنَبَ مَنَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْعَالَمُ

عَقَابَهُ فَهُوَ الْجَرُّ بِهَشْيٍ عَلَى رَجُلَيْنِ وَالْعَبْدُ يَتَصَوَّرُ فِي
 الْعَيْنِ وَالْعَدْلُ يَتَقَسَّمُ وَالْجُودُ يَتَجَسَّمُ وَالْجَرُّ يَتَكَلَّمُ
 فَلَمَّا التَّقِينَا فَرَشْتُ الْأَرْضَ بِيَدِي فَرَشًا نَتَقَشْتُ التُّرَابَ
 بِفِي تَقَشًا وَخَطَا إِلَى خَطَوَاتِ كَادَتْ الْأَرْضُ لَا تَسَعَهَا
 وَكَادَتْ أَلْهَالُكَ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيْفٌ بِلُقْيَايَ وَفُودَ الْكَلَامِ
 كَمَا زَيْفَتْ بِلُقْيَايَ مُلُوكَ الْأَنَامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى النَّاسِ مِنْ
 جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرَهُ أَحَدًا وَلَا أَجِدُ مِثْلَهُ
 أَبَدًا وَإِنْ طَلَبْتُ مِثْلًا فِي أَخْلَاقِهِ مَثٌ وَلَمْ أَقِفْهُ
 أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عُدِمْتُ قَبْلَ جُودِهِ فَخَرَسَ اللَّهُ
 سُلْطَانَهُ مِنْ مَلِكٍ وَسَعَ أَرْزَاقِي فَضِيقَ أَخْلَاقِي وَأَغْلَى
 ثَمَنِي فَمَا يَشْتَرِي بِنِي أَحَدٌ وَعَظُمَ أَمْرِي فَمَا يَسْعِي بِلَدٍّ وَهَذَا
 وَصْفُ إِنْ أَطْلَعْتُهُ طَالَ وَنَشَرَ الْأَذْيَالُ وَأَسْتَغْرِقَ
 الْفَرِطَاسَ بَلِ الْأَنْفَاسَ وَأَسْتَنْفِدَ الْأَعْمَارَ بَلِ الْأَعْصَارَ
 وَلَمْ يَبْلُغِ الْمِئْشَارَ وَأَفْنَى الْأَقْلَامَ بَلِ الْكَلَامَ وَلَمْ
 يَبْلُغِ التَّمَامَ

وكتبه الحسن بن وهب إلى بعضهم

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَقْدَرْتَهُ

عَالِيهَا فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا
وَرَمَقَ أَمْسَكْتَ بِهِ وَقُمْتَ بَيْنَ الدَّلَفِ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ
نِعَمِ الدُّنْيَا حَذِّتْنَعِي إِلَيْهِ وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةً مِنَ الشُّكْرِ
يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ خَلَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الْوَصْفَ
وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ
رَدَدْتَ عَنَّا كَبَدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْخَسُودِ فَخُنْ نَلْجَا
مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَفِّ كَرِيمٍ فَكَفَّ بِشُكْرِ الشَّاكِرِ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جَهْدُ الْمُجْتَهِدِ

وكتب ابو الفضل الميكالي الى بعضهم من رسالة

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رَدَاءَهُ وَقَلَدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَاءَهُ
فَهَيَّاتِ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ أَوْ
يَسِيرَ إِلَّا تَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ ثَوْبٌ لَا يَجْلَى إِلَّا
بِذِكْرِهِ طِرَازُهُ وَأَسْمُهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسَوَاهُ حَبَازُهُ وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ
مَلَكَ رَقِي بِأَيْدِيهِ وَأَخْجَزَ وَسْعِي عَنْ حَقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ
خَلَّى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمِيدَانَهُ وَلَمْ يُجَادِبْنِي زِمَامَهُ وَعَيْنَانَهُ
لَتَعَلَّقْتُ فِي بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ
فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَعٍ وَلَكِنَّهُ يَأْتِي إِلَّا أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَيَّ

أَمَدِ الْفَضَائِلِ وَيَسْتَمَّ ذَرَى الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ فَلَا
يَدْعُ فِي الْعَجْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارْطًا وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ
عَنْهَا حَسِيرًا سَاقِطًا لِتَكُونَ الْعَالِي بِأَسْرَهَا مَجْمُوعَةً فِي
مُلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسِيمِ
وَشِرْكِهِ

فَصْلٌ

فِي الْعِبَادَةِ

كتب بعضهم الى صديق له

كَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَغْنِيَامِ بِعِلَّتِكَ حَالِ
الْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَني نَصِيبٌ مِنْهَا وَأُسْلِمَ مِنْ أَكْثَرِهَا
بَلْ أَجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤْتَمٌ مِنْهَا بِمَا
يُؤَلِّمُكَ فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَّتِي فِي عَافِيَّتِكَ أَنْ
يُخْصِنِي بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ

وكتب بعضهم

لَكِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا
أَغْنَى قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي قَحْصًا عَنْ خَبْرِكَ وَمُحِبِّكَ يُحِبُّ

أَنْ تَنْقَسَمَ جَوَارِحُهُ وَصَبَكَ وَإِنْ زَادَ فِي أَلَمِهَا أَلَمُكَ وَأَنْ
تَصِلَ بِهِ أَحْوَالُكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَلَمَّا بَلَغَنِي إِفَاقَتُكَ
كُنْتُ مُهَيَّئًا بِأَعَافِيَةٍ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بِخَبَرِ السَّلَامَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وكتب بعضهم

إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ
عَنْ حَوْبَائِكَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِبَادَتِكَ
لَأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ
بَادٍ فِي حَالِي لِعَيْبِكَ وَأَصْدَقُ الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ
الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ الْفِعْلِ

وكتب ابن الرومي الى بعضهم

أَذِنَ اللَّهُ فِي شِفَائِكَ وَتَلَّى دَاءَكَ بِدَوَائِكَ وَمَسَحَ
بِيَدِ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَقْدَ السَّلَامَةِ إِلَيْكَ وَجَعَلَ
عَلَيْكَ مَاحِيَةً لِدُنُوبِكَ مُضَاعِفَةً لِنَوَائِكَ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى نلبذله

وَصَلِّ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ ثُمَّ غَمَّنِي
أُطْلَاعِي عَلَيْهِ إِمَّا تَصْنَعُهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ جَعَلَ اللَّهُ أَوْلَهَا

كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا وَعَلَى
 الْآخِرَى شُكْرًا وَبِوُدِّي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَنَاوِلُ عِبَادَتِكَ
 فَأَحْبَبْتُ عَنْكَ بِالْتَّعَهُدِ وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضُ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ
 فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ قِسْمٌ كَقِسْمِكَ وَمَرَضَ قَلْبِي
 فِيكَ لِمَرَضِ جِسْمِكَ وَأَظُنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا لَأَنْصَرَفْتُ
 عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ نَعَالِي جَلَدٍ عَلَى
 أَوْجَاعِ أَعْضَائِي غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي يَسُو
 عَنِّي سَهْمُ الدَّهْرِ إِذَا رَمَانِي وَيَنْفُذُ فِي إِذَا رَمَى إِخْوَانِي
 فَأَقْرَبُ سَهَامِهِ مِنِّي أَبْعَدُ سَهَامِهِ عَنِّي كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّي
 أَقْرَبُهَا مِنِّي شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ وَكَفَانِي فِيكَ أَلْعَدُورَ
 وَكَفَاكَ وَرَفَعَ جَنْبِكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَأَمَنَ سِرْبَكَ
 وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبِكَ

فَصَلِّ

فِي الْإِهْدَاءِ

كتبه سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم التبرور
 أيها السيد الشريف عشت أطول الأعمار بز يادة من

الْعَمْرُ مَوْصُولَةٌ بِفَرَاغِهَا مِنَ الشُّكْرِ لَا يَنْقُضِي حَقَّ نِعْمَةٍ
 حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا
 عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ. إِنِّي تَصَفَّيْتُ أَحْوَالَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ
 يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهَدَايَا إِلَى السَّادَةِ وَالتَّمَسُّتُ النَّاسِيَّ بِهِمْ فِي
 الْإِهْدَاءِ وَإِنْ قَصَّرْتُ بِي أَمْحَالُ عَنِ الْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّي
 إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مِلْكٌ لَكَ لَأَحْظَّ فِيهَا لِعَيْزِكَ. وَرَمَيْتُ
 بِطَرَفِي إِلَى كَرَامٍ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ
 مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي لَهْدِي مَالِكَ إِلَيْكَ. وَنَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا
 خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي
 أَنِّي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا وَلَا لَطْفًا. وَلَمْ أُمِزْ
 مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ الشُّكْرُ مُقْصِرًا
 عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ الْإِعْتِرَافَ
 بِالْمُقْصِرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِفْرَارَ بِالْمُقْصِرِ عَمَّا
 يَجِبُ لَكَ بَرًّا أَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ

إِنْ أَهْدَيْتُ مَالًا فَهُوَ وَاهِبُهُ وَهُوَ الْخَفِيقُ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ
 أَوْ أَهْدَيْتُ شُكْرِي فَهُوَ مُرْتَهَنٌ بِجَمِيلِ فِعْلِكَ آخِرُ الدَّهْرِ
 وَالشَّمْسُ تَسْتَعِينِي إِذَا طَلَعَتْ أَنْ تَسْتَضِيءَ بِسَنَةِ الْبَدْرِ

وكتب ابراهيم بن المهدي الى صديق له

لَوْ كَانَتْ التَّحْفَةُ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُهُ حَقُّكَ لَأَجْجَفَ بِنَا
أَدْنَى حَقُوقِكَ وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدَرٍ مَا يُخْرِجُ مِنْ أَرْحَشَةٍ وَيُوجِبُ
الْأُنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا

فصل

في التهناني

كتب ابو الفضل بن العبيد الى عضد الدولة بهنئته بولدين

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ عَصْدِ الدَّوْلَةِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأَيَّدَ وَعُلُوَّهُ وَتَهَيَّيْدَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ
لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدُهُ وَهَنَّا دُبَاهَا أَحْضَادُ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ
مِنْ تَرْفَرِ الْأَعْدَادِ وَتَكْثُرِ الْأَمْدَادِ وَتَشْمُرِ الْأَوْلَادِ وَأَرَاهُ
مِنَ النَّجَابَةِ فِي الْبَيْنِ وَالْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ الْكَرَمِ فِي الْآبَاءِ
وَالْأَجْدَادِ وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ وَنَفْسَهُ مِنْ مَسْرَّةٍ
وَمُتَجِدِّ نِعْمَةٍ وَمُسْتَأْنَفِ مَكْرَمَةٍ وَزِيَادَةٍ فِي عَدَدِهِ وَفَسَحٍ
فِي أَمْدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهْلِهِ وَيَسْتَغْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْفِيَ
مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرَفَهُ اللَّهُ السَّعَادَةَ فِيمَا بُشِّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ

طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا أَتْبَعْنَا مِنْ نُورِهِ وَأَسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ
وَحَفَا نَسِيرِهِ وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مُتَلَاثِمَيْنِ وَوَرُودَهُمَا تَوَاقُفَيْنِ
بَشِيرَيْنِ بِنِظَاهِرِ النِّعَمِ وَتَوَاقُفِ الْقِسَمِ وَمُؤْذِنَيْنِ بِتَرَادُفِ
بَنِينَ يُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أَفْقُ الْعِلَاقِ وَيَنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ النِّهَاقِ
إِلَى غَايَةِ تَفُوتِ غَايَةِ الْأَحْصَاءِ

وكتب أبو الفضل بديع الزمان الهمداني إلى طاهر الداودي بهذه بولود
حقاً لقد أنجز الأقبال وعده ووافق الطالع سعه
وإن الشان لفيها بعده وحبذا الأصل وفرعه وبورك
الغيث وصوبه وأنع الروض ونوره وحبذا سماء أطلعت
فرقدا وغابته أبرزت أسدا وظهره وافق سندا وذكره يبقى
أبداً ومجد يسى ولداً وشرف لجمة وسدى
أنجب كل من والد به به إذ نجلاه فنعم ما نجلا
فألفياه شهاب ذكاء وبدر علاء

ووجداه ابن جلا أبيض يدعى أنجبلى
لميله أو لا فلا إذا الندى أحفلا

وكتب بعضهم بهذه صدقاً له بالقدم من سفر

أهني سدي ونفسي بها يسر الله من قدمه سالماً وأشكر

اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غِيَّةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغِيَّتِكَ
وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ فَوَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُدُومَكَ
مِنَ الْكِرَامَةِ بِأَضْعَافٍ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ السَّلَامَةِ

وكتب بعضهم تهنئة بالنبروز

أَقْبَلَ النَّيْرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَّةَ الْإِثْمِ اسْتَعَارَهَا مِنْ
شَيْمَنِهِ وَمُبْدِيًا حَلِيَّةَ الْإِثْمِ أَخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَمُسْتَضِيًّا مِنْ
أَنْوَارِهِ مَا أَكْتَسَاهُ مِنْ مُحَاسِنِ فَضْلِهِ وَإِكْرَامِهِ وَمِنْ
أَنْظَارِهِ مَا أَقْتَبَسَهُ مِنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمُؤَكِّدًا لِلْوَعْدِ
بِطُولِ بَقَائِهِ حَتَّى يَمَلَّ الْعُمُرُ وَيَسْتَغْرِقَ الدَّهْرُ فَلَا زَالَ
يَلْبَسُ الْأَيَّامُ وَيُيْلِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ
سَعِيدٌ وَلَا زَالَ أَمْرًا نَاهِيًا فَاهِرًا عَالِيًا تَتَبَّعُ الْأَعْيَادُ
بِمَصَادِقِهِ سُلْطَانِهِ وَتَسْتَفِيدُ الْعَاسِينَ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ

— ٥٥٥ —

فصل

في الاستزارة

كتب الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداي إلى عبد الرحمن بن طاهر
مَحَلُّكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ فِي طَيِّ الْمَجَوانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتْ

الدَّارُ وَعَيْانِكَ فِي أَحْتَاءِ الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْهَزَارُ
 فَالْنَّفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحَظِّ وَالْعَيْنُ
 نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَمْتَعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفَرِ الْحَظِّ فَلَا عَائِدَةَ
 أَسْبَغُ بَرْدًا وَلَا مَوْهَبَةً أَسْوَعُ وَرَدًا مِنْ تَفَضُّلِكَ بِأَلْحُفُوفِ
 إِلَى مَا نَسِ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ التَّشَامُهِ وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ
 أَنْظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ الْأَجْمَالِ بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ
 الْأَمَالِ وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقَهُ مِنْ بَرَاعِي وَنَشَؤِي وَتَتَبَعْتُهُ مِنْ
 تَطَلُّعِي وَنَشَؤِي وَقَدْ تَمَكَّنَ الْأَرْتِجَاجُ بِأَسْتِحْكَامِ التَّقْدِيرِ
 وَاعْتَرَضَ الْأَنْتِزَاجُ بِأَرْتِقَابِ الصَّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكَ
 بِسَمَاحَةِ شَيْبِكَ وَبَارِعِ كَرَمِكَ تُشْنِي لِلْمُؤَانَسَةِ عَهْدًا
 وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا
 وَحَمْدًا لَا زِلْتَ مَهْنًا بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ مُسَوِّغًا أَجِلَاءَ
 غُرَرِ الْأَمَانِ الْمُنْهَلِلَةِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الوزير الكاتب أبو الفاسم بن السقاط إلى صديق له

يَوْمُنَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَوْمٌ قَدْ نَقَبَتْ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ الْغَمَامِ
 وَذُهِبَتْ كَأْسُهُ بِشُعَاعِ الْمَدَامِ وَتَحَنُّ مِنْ فِطَارِ الْوَسْطِيِّ
 فِي رِدَاءِ هَدْيٍ وَمِنْ نَضِيرِ الثَّوَارِ عَلَى نَظِيرِ النُّصَارِ

وَمِنْ بَوَاسِمِ الزَّهْرِ فِي لَطَائِمِ الْعِطْرِ وَمِنْ غُرِّ النَّدْمَانِ
 بَيْنَ زَهْرِ الْبُسْتَانِ وَمِنْ حَرَكَاتِ الْأَوْتَارِ خِلَالَ نَعِمَاتِ
 الْأَطْيَارِ وَمِنْ سَقَاةِ الْكُؤُوسِ وَعَوَاطِي الْمُدَامِ بَيْنَ
 مُشْرِقَاتِ الشَّمُوسِ وَعَوَاطِي الْأَرَامِ فَرَايِكَ فِي مُصَافَحَةِ
 الْأَقْمَارِ وَمُنَافَحَةِ الْأَنْوَارِ وَأَجْنِلَاءِ غُرْرِ الظُّبَاةِ الْمَجَوَّازِ
 وَأَتْنِفَاءِ دُرَرِ الْغِنَاءِ الْمَحْجَازِ مُوقَفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وكتبه صاحبُ ابنِ عَبَّادٍ إلى صديقه له

نَحْنُ يَا سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ غَنِيٍّ إِلَّا عَنْكَ شَاكِرٌ إِلَّا مِنْكَ
 قَدْ تَفَتَّحَتْ فِيهِ عُيُونُ النَّرْجِسِ وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُ الْبُنْفَسِ
 وَفَاحَتْ مَجَامِرُ الْأُتْرُجِ وَفَتَحَتْ فَاوَاتُ النَّارِجِ وَأَنْطَلَقَتْ
 أَلْسُنُ الْعِيدَانِ وَقَامَتْ خُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ وَهَبَّتْ رِيَّاحُ الْأَفْدَاحِ
 وَفَتَحَتْ سُوقُ الْأَنْسِ وَقَامَ مُنَادِي الطَّرَبِ وَأَمْنَدَ سَحَابُ
 النَّدَى فَجِئَانِي إِلَّا مَا حَضَرَتْ فَقَدْ أَبَتْ رَاحُ مَجْلِسِنَا أَنْ تَصْنُوهُ
 إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يُمْنَاكَ وَأَقْسَمَ غَنَاؤُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ حَتَّى
 تَعِيَهُ أَذْنَاكَ فَخُدُودُ نَارِجِهِ قَدْ أَحْمَرَّتْ خَجَلًا لِإِبْطَائِكَ
 وَعُيُونُ نَرْجِسِهِ قَدْ حَدَقَتْ تَأْمِيلًا لِلْفَائِكَ

وكتب ابو الطيب المنبجي الى صديق له كان يزوره ايام اعتلاله
وانقطع عنه عند ايلاله

وَصَلَّتْنِي وَصَلَكَ اللَّهُ مُعْتَلًّا وَقَطَعْتَنِي مُبِلًّا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا
تُكْذِرَ الصِّحَّةَ عَلَيَّ وَلَا تُحَيِّبَ الْعِلَّةَ إِلَيَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

فصل

في الوصاف

كتب الجاحظ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فُلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ
مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثَّقَةِ مِنْ مَكَاوِفِهِ
فَأَوْلُنَا فِيهِ مَا يَعْرِفُ بِهِ مَوْقِعُنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَيَكُونُ
مُكَافَاةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى بعضهم

حَقُّ مُوَصِّلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَيَّ إِذْ جَعَلَكَ مَوْضِعًا
لِأَمْلِهِ وَرَأَى أَهْلًا لِحَاجَتِهِ وَقَدْ أُنْجِزَتْ حَاجَتُهُ فَصَدَّقَ أَمْلَهُ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له

أَلَا يَأُمُّ أَيْدِكَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَاجُمَةً لِي عَنْ صِحَّةٍ وَقَائِكَ
وَشُهُودٌ عِنْدِي عَلَى صَدِّقِ إِخَائِكَ وَأَقْلُ حُقُوقِكَ عَلَيَّ

يُلْزِمُنِي أَنْ لَا أَشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلَا قَلْبِي إِلَّا بِذِكْرِكَ
وَلَوْ تَجَاوَزَ طَبَقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مِيدَانِ الْهَيْفَةِ وَتَنَازَعُوا
خَصَلَ الْأَنْسِ وَالنَّفَقَةِ رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ
سَابِقٌ وَلَا يُذَكِّرُ مَعَهُ لَاحِقٌ وَأَنْ تُجَلِّيَ الْغَايَةَ مِنِّي عَنْ مُحَبَّةٍ
مُرَبَّاةٍ بِالْوَفَاءِ وَعَنْ شُكْرِ مُرْضِعٍ بِالْدُعَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِي خَيْرُ
سَعْيِكَ لِفُلَانٍ فِي الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ دُونَ قَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ
فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ
أَوْفَى وَأَمْلَى وَبِإِيفَائِكَ حَقَّكَ أَحَقَّ وَأَوْلَى وَأَرَدْتُ أَنْ
أَكِلَ شُكْرَكَ إِلَيْهِ وَلَا أَنْطَفِلَ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ
تُطَوِّى صَحِيفَةَ الشُّكْرِ وَلَمْ يَجْرِ لِي فِيهَا أَسْمٌ وَأَنْ تُخْتَمَ جَرِيدَةُ
الْمُشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا قِسْمٌ فَذَكَرْتُكَ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ
أَذْكُرُ "وَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكُرُ عَلَى أَنَّي أَرْغَبُ
بِذَلِكَ الْخُرْعِ عَنِ التَّلَطُّحِ بِأَوْضَارِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا مَرَالِقُ
أَقْدَامِ الرِّجَالِ ضُنَابِهِ عَنْ تَخَالِيطِ الْأَيَّامِ وَصِيَانَةِ
لِحَالِهِ عَنِ مَدَانِسَةِ الْأَوْهَامِ وَنِعْمَتِكَ عَلَيْهِ مُفْتَسِمَةً بَيْنِي وَبَيْنَهُ
بَلْ أَكْثَرُهَا لِي دُونَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تُكْسِبُكَ
شُكْرَيْنِ وَتَسْتَعِيدُ لَكَ حُرَيْنِ وَجَدِيرَيْنِ هَطَلَتْ عَلَيْهِ

سَحَابُ عِنَايَتِكَ وَرَفَرَفَتْ حَوْلَهُ أَجْنَتُهُ رِعَايَتِكَ أَنْ يَنْبُوَ
عَنْهُ سَيْفُ الزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحِلِهِ عَسْكَرُ
الزَّمَانِ مَهْزُومًا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَجْرِمَكَ نِعْمَةٌ
يَهْدِي إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ دُودٍ وَمِنَةٌ تَقْفُ عَنْكَ عَيْنَ حَسُودٍ
بِهِ وَكَرَّمِهِ

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص

كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَاطُنُهُ يَبِينُنِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهْنِي فَمَا
ظَنُّكَ بِحَاجَتِي هَذَا مَوْفِعُهَا مِنِّي أَتُرَانِي أَقْبَلُ الْعُذْرَ فِيهَا
أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ عَلَيْهَا وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ
وَصِفَاتِهِ وَأَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِيَرِهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا
فَأَكْتَفِ بِهَذَا مَا

— ٥٥٥ —

فصل

في الشكوى

كتب أبو بكر الخوارزمي إلى صاحب ديوان الحضرة وقد طُوب
أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هَذَا أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ حَالُ نَيْسَابُورَ وَأَهْلِيهَا
بَلْ حَالِي وَحَالُ الْأَحْرَارِ فِيهَا

وَأَصْبَحَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا أَشْتَهَوْا
وَعَابَ أَبُو عَمْرٍو وَغَابَتْ رَوَاحِلُهُ
وَقَدْ كُنْتُ آوِي مِنَ الشَّيْخِ أَيَّامَ مَقَامِهِ بِهَذِهِ الْجَنْبَةِ إِلَى كَنْفِ
رَحِيبٍ وَجَنَابِ خَصِيبٍ وَبَابٍ وَاسِعٍ وَنَائِلِ شَائِعٍ
وَوَجْهِ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسخَةَ الْكَرَامِ فِي وَجْتِهِ
تَلْعُ أَثَارُ الْكَرَمِ بُنُورُ أَسَارِيرِهِ وَتُعَرِّفُ بُشْرَى النَّجَاحِ فِي
تَبَاشِيرِهِ وَفَمٍ يُشِيرُنِي بِابْتِسَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُشِيرَنِي بِكَلَامِهِ
وَيُخَيِّبُنِي بِاللَّعْجِ بِإِشَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُتَرْجِمَ بِعِبَارَتِهِ وَإِذَا
رَأَيْتُهُ رَأَيْتُ بُخْتِي قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ فِي مَعْرِضِ الْكَمَالِ وَطَالِعِ
سَعْدِي قَدْ طَلَعَ عَلَيَّ بِنَيْلِ الْأَمَالِ عَنْ يَمِينِي الْجَمَالِ
وَعَنْ يَسَارِي الْجَلَالِ فَأَعْدُو إِلَى بَابِهِ يَفْدُمُنِي الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ
وَأَرْوَحُ عَنْهُ فَيُشِيعُنِي الشُّكْرُ وَالْدُّعَاءُ وَأَحْمِلُ حَوَائِجِي مِنْهُ
عَلَى جَبَلِ الْجُودِ الَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ الْمَطَالِبُ وَلَا تَنْقُلُ عَلَيْهِ
الرَّغَبَاتُ وَالرَّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرٍ الَّذِي لَا يَنْزِفُهُ الْأَسْتِقَاءُ
وَلَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَآءُ وَلَا يُرِي قَعْرَهُ وَلَا يَدْرِكُ غَوْرَهُ
وَإِنَّمَا يَصْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ سَمْعُهُ بِاسْتِمَاعِ
صَوْتِ رَحَى الْأَضْرَاسِ مَنْ وُلِدَ فِي طَالِعِ السَّخَاءِ وَغُذِيَ

فِي حُجُورِ الْكُرْمَاءِ وَقُرِعَ سَمْعُهُ مِنْذُ صَبَاهُ بِأَصْوَاتِ الْأُدْبَاءِ
 وَالشُّعْرَاءِ وَمُرِنَ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ
 وَالثَّقَلِ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بَازِلًا
 حَتَّى إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ أَمَالِي تَرِفُ بَعْدَ مَا يَسْتِ
 وَوُجُوهُ مَطَالِي تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عَبَسَتْ رَمْتَنِي الْأَيَّامُ بِفِرَاقِ
 الشَّيْخِ فَأَخَذَجَ رَجَائِي الْحَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أَمَلِي الْحَامِلُ
 وَسَكَتَ إِسَانِي الْقَائِلُ وَفَتَرْتُ فُتُورَ النَّاجِرِ بَارَ مَتَاعُهُ
 وَغَابَ مُتَبَاعُهُ وَقُلْتُ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَدَبِ خَيْرًا لَمَا غَابَ
 مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُمْ وَفَضْلَهُ
 وَلَوْ أَنْصَفْتُ الْأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ الشَّيْخِ لَرَبَيْتُهُ مَرْتَبَةَ الْأَمْوَاتِ
 وَلَأَقَمْتُ عَلَيْهِ مَائِمَ الْمَمَاتِ وَخَوْتُ أَسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةِ
 الْحَيَاةِ هَذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ الْخَرَجِ مَنْ لَا أُطْرُقُهُ بِجُرْمَةٍ
 وَلَا أَتَنَاوُلُهُ بِطَرْفِ ذَرِيْعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ
 حَشَدَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَامَّةِ وَأَدْخَلَنِي فِي غِمَارِ سَائِرِ الرَّعِيَّةِ
 وَأَوْقَعَنِي عَلَى حِسْرِ قُدَامَةِ الْخُسْرَانِ وَخَلَفَنِي الْهَوَانُ وَفَجَعَنِي
 بِدَرِيْهِمَاتٍ جُبِعَتْ بِتَقْطِمْ الْمَهَالِكِ وَأَخْتَرَانِي الْمَسَالِكِ
 وَالْمَهَالِكِ وَدَنَانِيرَ قَطَعَتِ الْقِفَارَ وَخَاضَتِ الْبَحَارَ

وَنَاطَحَتِ الْحَوَادِثُ وَالْأَقْدَارُ فَإِنْ بَدَّلْتُهَا أَتَزَلُّ وَفَرًّا
طَالَمَا كَانَ مَخْزُونًا وَإِنْ مَنَعْتُهَا أَتَبْذُلُ عِرْضًا لَمْ يَزَلْ
مَصُونًا عَلَى أَنِّي أَحْبَبْتُ عَلَى الْجَمَالِ التَّجَمُّلَ وَأَوْثَرُ الْبَذْلِ
عَلَى التَّبْذُلِ وَأُنْشِدُ شِعْرًا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ
بَعْضِ وَمَا أَيْسَرُ دَوَاءَ هَذَا الدَّاءِ لَوْ طَاوَعَنِي نَفْسِي الْعَاصِيَةَ
وَنَابَعَنِي رَجُلِي الْآبِيَةَ فَدَخَلْتُ الدِّيُونَ وَصَانَعْتُ الرِّهَانَ
وَفَتَحْتُ جِرَابَ النِّفَاقِ وَالرِّثَاءِ وَأَغْلَمْتُ بَابَ الْحِفَاطِ وَالْوَفَاءِ
وَلَكِنِّ الْأَنْظَرَ إِلَى سَيْنِ الشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَيَّ وَأَهْوَنُ عَلَى عَيْنِي
مِنْ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى هَذَا الصَّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ
الْبَدْرِ وَإِنِّي لَا غَارُ عَلَى الْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْحَرَمِ
وَأَبْجَلُ بِالْمَرَاتِبِ كَمَا يُبْجَلُ غَيْرِي بِالْمَكَاسِبِ وَأَسْتَحْيِي
إِعْيَنِي أَنْ أَفْتَحَهَا عَلَى الصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ الْكَبِيرِ
لَا أَتْلَانِي اللَّهُ بِجَالِسِ الْعَبِيرَةِ وَلَا أَقَامَنِي فِي مَقَامَاتِ
الْغَنَةِ وَالْمَحِيرَةِ فَإِنْ أَتْلَانِي بِذَلِكَ وَجَدَنِي ضَيْقَ سَاحَةِ
الصَّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ الصَّبْرِ كَثِيرَ الْمُبَارَاةِ قَلِيلَ الْمُدَارَاةِ
هَذِهِ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرْجٌ أَرْتَجِيهِ
أَوْ نَظَرٌ أَنْجِمَعُ فِيهِ وَهَلْ يُحَرِّكُ لِنَظَرَةٍ مِنَ الْفَاطِهَةِ أَوْ لِحَظَةٍ

مِنْ أَلْحَاطِهِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ مَا نَصَبَ مِنْ مَائِهِ وَعَلَى
عَرْضِي مَا ذَهَبَ مِنْ بَهَائِهِ وَلَعَمْرِي إِنَّ حَاجَتِي إِلَى الشَّيْخِ
فِي هَذَا الْخُرَاجِ صَغِيرَةٌ وَلَكِنِّي لَا أَسْتَصْغِرُ مِنْهُ يَسِيرًا كَمَا لَا
أَسْتَغْظِمُ مِنْهُ كَبِيرًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخُرْ يَسْعُ الدَّقِيقَ بِفِطْنَتِهِ
وَالْجَلِيلَ بِهَيْمَتِهِ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي كِتَابُهُ بِالْفَرَجِ خَشِيتُ أَنْ
يَسْرِيَ فِي السُّمِّ الْعَرِيطِيِّ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيَّ التَّرِيقُ الْبَطِيُّ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَائِي تَقْدًا وَدَوَائِي وَعَدَا

وكتب الوزير الكاتب ابو المطرف بن الدباغ الى ابن حسداي
كتابي وأنا كما تدر به غرض لئلا يام ترميه ولكني
غير شاك من الامها لان قلبي في اغشية من سهامها
فانصل على مثله يقع والتالم بهذه الحاله قد ارتفع
كذلك التربع اذا تابع هان والخطب اذا اشتد لان
والحوادث تنعكس الى اضدادها اذا تناهت في اشتدادها
وتزايدت على امادها

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى اهله وهو منزه مع مروان
اما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره
والسرور فمن ساعده انحط فيها سكن اليها ومن عاضه

بِنَابِهَا ذَمَّهَا سَاخِطًا عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَقَدْ كَانَتْ
 أَذَاقَتَنَا أَفَاقِيقَ اسْتَحْلِيلِنَاهَا ثُمَّ جَمَعَتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَحِمَتْنَا مُوَلِّةً
 فَعَلِمَ عَذِبُهَا وَخَشِنَ لَيْسُهَا فَأَبْعَدَتْنَا عَنِ الْأَوْطَانِ وَفَرَّقَتْنَا
 عَنِ الْأَخْوَانِ فَالِدَارُ نَارِحَةٌ وَالطَّيْرُ بَارِحَةٌ وَقَدْ كَتَبْتُ
 وَالْأَيَّامُ تُزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا فَإِنْ نَشِئْ
 الْبَلِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَدْيَهَا يَكُنْ آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَا وَإِنْ بَلَّغْتُنَا
 ظَفَرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ نَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الْأَسَارِ
 وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَذِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أَلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارِ أَمْنِهِ
 تَجْمَعُ سَلَامَةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 وَارْحَمُ الرَّاحِمِينَ

وكتب الأمير ابو الفضل الميكالي من رسالته

إِنَّمَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ
 بِأَكْثَرِ مِمَّا مَتَعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آنَسَ وَعَنَّفَ فِي نَزْعِ مَا
 أَلْبَسَ فَإِنَّهُ لَمْ يُذِفْنَا حَلَاوَةَ الْأَجْنِمَاعِ حَتَّى جَرَّعَنَا مَرَارَةً
 الْفِرَاقِ وَلَمْ يَهْتِنَعْنَا بِأَنْسِ الْأَلْتِقَاءِ حَتَّى غَادَرْنَا رَهْنِ
 الْتَلْهَفِ وَالْإِسْتِيَاقِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ يَسُوهُ

وَيَسِّرْ وَيَجْلُو وَيَهْرِ وَلَا أَيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ فِي إِبَاحَةِ
صَنْعٍ يَجْعَلُ رُبْعَهُ مُنَاحِي وَيُقْصِرُ مَدَّةَ الْبُعَادِ وَالْتَّرَاحِي
فَالْأَحْظُ الزَّمَانُ بِعَيْنٍ رَاضٍ وَيُقِيلُ إِلَيَّ حَظِي بَعْدَ إِعْرَاضٍ
وَأُسْتَأْنِفُ بِعِزَّتِهِ عَيْشًا عَذْبَ الْمَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ مَأْمُونِ
الْأَفَاتِ وَالْغَوَائِلِ

فصل

في العازي

كتب أبو الفضل بدیع الزمان المهداني إلى أبي عامر عدنان بن محمد الضبي
إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ ذَلَالَهُ أَتَاخٍ بِآخِرِنَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيْلَتِ الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
أَحْسَنَ مَا فِي الدَّهْرِ عُمُومُهُ بِالنَّوَائِبِ وَخُصُوصُهُ بِالرَّغَائِبِ
فَهُوَ يَدْعُو الْجَفَلَ إِذَا سَاءَ وَيَخْصُصُ بِالنِّعْمَةِ إِذَا سَاءَ
فَلْيَفَكِّرِ الشَّامِتُ فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ فَلَهُ أَنْ يَشْمَتَ وَلْيَنْظُرِ
أَلِإِنْسَانٍ فِي الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ وَالْمَوْتِ وَصُنُوفِهِ مِنْ
فَاتِحَةِ أَمْرِهِ إِلَى خَاتِمَةِ عُمُرِهِ هَلْ يَحْدُثُ لِنَفْسِهِ أَثَرًا فِي نَفْسِهِ
أَمْ لَتَدِيرُهُ عَوْنًا عَلَى تَصْوِيرِهِ أَمْ لِعَمَلِهِ تَقْدِيرُهُ لِمَلِهِ

أَمْ لِحِمْلِهِ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ كَلَّا بَلْ هُوَ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا خُلِقَ مَقْهُورًا وَرُزِقَ مَقْدُورًا فَهُوَ بِحَبَابِ جَبَرًا
وَبِهَيْلِكَ صَبْرًا وَلَيْتَا مَلَّ الْمَرْءُ كَيْفَ كَانَ قَبْلًا فَإِنْ كَانَ
الْعَدَمُ أَصْلًا وَالْوُجُودُ فَضْلًا فَلْيَعْلَمْ الْمَوْتُ عَدْلًا
وَالْعَاقِلُ مَنْ رَفَعَ مِنْ جَوَانِبِ الدَّهْرِ مَا سَاءَ بِهَا سَرَّ
لِيَذْهَبَ مَا نَفَعَ بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَجْزَنَ فَلْيَنْظُرْ يَمِينَةً
هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً ثُمَّ لِيُعْطِفَ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً
وَمِثْلُ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مَنْ تَبَطَّنَ هَذِهِ
الْأَسْرَارَ وَعَرَفَ هَذِهِ الدِّيَارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيمِهَا صَدْرًا لَا
يَمْلَأُهُ فَرْحًا وَلِبُوسِهَا قَلْبًا لَا يُطِيرُهُ تَرْحًا وَصَحْبَ الْبَرِيَّةِ
بِرَأْيٍ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَنِيَّةِ رَحَى وَلَقَدْ نَعِيَ إِلَيَّ أَبُو قَبِيصَةَ
قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَبَرَّدَ ضَرْبُجَهُ فَعَرَضْتُ عَلَيَّ أَمَالِي فَعُودًا
وَأَمَانِي سُودًا وَبَكَيْتُ وَجُودُ الشَّيْخِ بِمَا يَهْلِكُ وَضَحِكْتُ
وَشَرُّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ وَعَضَضْتُ الْأَصْبَعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ
وَذَمَمْتُ الْمَوْتَ حَتَّى تَمَنَيْتُهُ وَالْمَوْتُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
الشَّيْخُ الرَّئِيسُ خَطَبَ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمْرٌ قَدْ خَشِنَ
حَتَّى لَانَ وَنُكِرَ قَدْ عَمَّ حَتَّى صَارَ عُرْفًا وَالْدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ

حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبَهَا وَخَبِثَتْ حَتَّى صَارَ أَقْلٌ
 عِيُوبَهَا وَلَعَلَّ هَذَا السَّمُّ قَدْ صَارَ آخِرَ مَا فِي كِنَانَتِهَا وَأَنْكِ مَا
 فِي خِزَانَتِهَا وَمَنْ مَعَاشِرَ التَّبَعِ تَعَلَّمَ الْأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ
 وَالْجَمِيلَ مِنْ أَعْمَالِهِ فَلَا تُخْشَى عَلَى الْجَمِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ
 وَلَا تُرَغَّبُ فِي الْجَزِيلِ وَهُوَ الْأَجْرُ فَلْيَرْفَعْ فِيهَا رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 واصله بعزي احد اصدقائه بنسب له توفي ايام الوباء

أَسْبَاحُ تَرُوحٍ وَتَحِيٍّ وَآجَالُ تَهْمٍ وَتَغْتَدِي وَأَنْفَاسُ
 تَنْقَطِعُ مِنْ دُونِهَا حُزْنًا وَأَسْفَا وَعَبْرَاتُ تَنْقَطِرُ وَجَدًا وَلَهْفًا
 وَمَا عَمَدَتِ الْأَقْدَارُ إِلَى أَسْتِنَافٍ مَدْمَعٍ وَلَا أَرَادَتِ
 الْأَيَّامُ إِلَّا لَامَ مُوجِعٍ إِنَّهَا فِي سَنَةِ الْخُلُقِيِّ كَوْنٌ بِلَيْهِ زَوَالُ
 وَعَقْدٌ بِسَبْطِهِ أَنْحِلَالُ وَإِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مَوْقُوتًا وَإِنْ
 لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا مَقْدُورًا وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي كُلِّ ذَلِكَ شَاهِدٌ
 يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَا ضَيَّأَ
 وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعْزِيكَ لَوْلَا مَا يُغَالِبُنِي
 عَلَى الْعِزَاءِ مِنْ كَيْدِ حَرَى وَمُقْلَةٍ شَكْرَى وَزَفَرَةٍ نَثْرَى
 ثُمَّ وَدِدْتُ أَنْ أُسْتَبْكِيكَ لَوْلَا أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أُدْعَ فِي
 الْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ وَأَحْبَبْتُ لِيَا لِي بِالنُّوحِ حَتَّى مَا بَالَتْجَمِ سَهَادُ

ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي الْبُكَاءَ عَلَى سُنْمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي النَّوْحُ
عَلَى صَفَرِ يَدَيَّ إِلَّا مِنْ كِبَدِي فَإِنَّ الْأَقْدَارَ سَهَامٌ إِذَا
أَنْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدِّ وَإِنَّ الْمَطْلَعَ إِلَى الْفَائِتِ لَطَوِيلُ شُقَّةِ
الْكَبَدِ وَإِنَّ الْأَخْطُوبَ لَهِيَ هِيَ وَإِنَّمَا تَفَاوَتْ عِنْدَ الْمُجَلَّدِ
وَإِنَّ الْحَصَى عِنْدَ الْحَزْوَغِ ثَقِيلَةٌ

وَضَخَمَ الصَّفَا عِنْدَ الصُّبُورِ خَفِيفُ

وَإِنِّي لَا رَجُوفِي عَقْلِكَ وَحِلْمِكَ أَنْكَ قَدْ صِرْتَ مِنْ جَانِبِ
الْعَزَاءِ ثُمَّ أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى نَجَاتِكَ إِنَّ لَنَا فِي بَقَائِكَ الْعِوَضَ
وَالنَّاسَاءَ فَلَقَدْ قَلَبْتَ الْقُلُوبَ عَلَى جَهَرَاتٍ لَا تَدْرِي أَيُّهَا
أَذَكِّي ضِرَامًا ثُمَّ أَوْرَدْتَهَا مِنْ سَلَامَتِكَ مَا رَأَتْ الشُّكُوى
بَعْدَهُ ظُلْمًا وَالتَّظْلُمَ حَرَامًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ
الْمَسْئُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ قُرَّةَ لِلْعُيُونِ وَجَبْرًا لِلْخَاطِرِ
الْمُعْزُونَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وَالصَّحُوحُ ابْنُ الصَّدِيقِ لَهُ جَوَابًا عَنْ كِتَابِ بِنْتِ أَبِي فِيهِ أَحَدُ

أَنْسَابُهُ وَبِعَزِيهِ بِنْسَبِهِ لَهُ

وَرَدَّ كِتَابُكَ بِجَاذِبِهِ طَرَفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعْزِيَةٍ وَيَضْرِبُ
عَلَيْهِ لَوْنَانِ مِنْ شَجْوٍ وَتَسْلِيَةٍ فَمَنْ لِي بِعَبْرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا

وَتَرَقًّا لِأُخْرَى وَمَنْ لِي بِقَلِيلٍ يَذُوبُ أَحَدُهُمَا جَزَعًا
وَيُجْمَدُ الْآخَرُ صَبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصِيرُ جَرِيحٌ ضَرَبَهُ الدَّهْرُ
بِسَيْفَيْنِ وَجَرَعَهُ الْبَلَوُ بِكَاسَيْنِ فَهَزَجَ عِبْرَةً بِعِبْرَةٍ
وَنَاعَ حَسْرَةً إِثْرَ حَسْرَةٍ وَبَاتَ لَا يُجِدُ إِلَى الصَّبْرِ دَلِيلًا وَلَا
يَهْتَدِي إِلَى الْعَزَاءِ سَبِيلًا وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فَوْقَ مَا تُجْرِي الْخُفُونُ
وَمَا تُثِيرُ الشُّجُونُ وَأَمْرُ اللَّهِ وَاقِعٌ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَالِدَمْعُ
لَا يَسْبِغُ غُصَّةً وَالْوَجْدُ لَا يُزِيلُ كُرْبَةً

وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السَّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ

فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَقَرَّعُ

فَمَا لَنَا إِلَّا السَّعْيُ وَرَأَى مَا نَدَّ مِنَ الصَّبْرِ نَكَرَ عَلَيْهِ النَّفْسَ وَإِنْ
كَانَ أَحَدَ الْمُهْرَيْنِ وَالْإِلْتِجَاءُ إِلَى الرِّضَى بِالْمَكْتُوبِ نُدَاوِي
بِهِ الْعَلَبَ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ الدَّائِنِينَ وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَكَيْلًا

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى كثير بن احمد بعزبه بانه له

نَحْنُ مَعَاشِرُ أَوْلِيَاءِ الشَّيْخِ وَمُتَحَبِّلِي أَعْبَاءِ نِعَمَتِهِ وَالْمُتَسَبِّبِينَ
بِسِمَةِ كَلِمَتِهِ إِذَا صَدِثَتْ قَرَأْنَحْنَا وَفَسَدَتْ أَذْهَانُنَا
جَلَوْنَاهَا بِمَجَالِسَتِهِ وَغَسَلْنَاهَا وَضَرَ التَّغْيِيرِ بِاتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِ
وَسُسْنَا أَنْفُسَنَا بِمَا تَرَاهُ وَتَعْلَمُهُ مِنْ سِيَاسَتِهِ لِبَطَانَتِهِ ثُمَّ

لِرِعِيَّتِهِ وَإِذَا كَانَتْ أَحْمَالُ هَذِهِ فَمِنْ أَحْمَالِ أَنْ نَبِيعَ
عَلَى الشَّيْءِ مَا اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ وَأَنْ نَحْلُبَ إِلَيْهِ مَا جَلَبْنَاهُ عَنْهُ
وَأَنْ نُقِيمَ أَنْفُسَنَا مَقَامَ الْمُعَلِّمِينَ وَنُقِيمَهُ مَقَامَ الْمُتَعَلِّمِينَ
وَأَنْ نَحْمِلَ إِلَيْهِ مَوَاعِظَ بَذَلَهُ كَلَامِهِ مِنْهَا أَرْبَعُ وَبَدَأَهُ
تَوْفِيعَاتِهِ مِنْهَا أَبَدُ وَلَكِنْ لَا بَدَّ لِلْعَجَبِ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُهُ
وَقَلَمُهُ بِمَا يَتَرَجَّمُ بِهِ عَنْ وَدَائِعِ صَدْرِهِ وَيُعَبِّرُ عَنْ نَيْتِهِ وَسِرِّهِ
وَلَا بَدَّ لِمَنْ شَارَكَ رَيْبَهُ فِي أَيَّامِ الرَّخَاءِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ
أَنْ يُشَارِكُهُ فِي أَيَّامِ الْغُيُومِ وَالْمَصَائِبِ لِيَكُونَ قَدْ خَدَمَهُ
فِي النَّوْبَتَيْنِ وَتَصَرَّفَ مَعَهُ عَلَى الْحَالَتَيْنِ وَأَثَبَتْ أَسْمُهُ فِي
جَرِيدَةِ الشَّرْكَاءِ الْمُسَامِعِينَ مَرَّتَيْنِ وَبَلَغَنِي خَبَرُ الْمُصِيبَةِ
فَأَغْنَمْتُ بِهَا غَمِينَ وَنَفَذْتُ إِلَى سِهَامِ الْفَجِيعَةِ مِنْ طَرِيقَيْنِ
أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَهِيَ أَنِّي أَغَارُ عَلَى هَذِهِ الْجَنْبَةِ الْكَرِيمَةِ وَعَلَى
هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مِنْ أَنْ تَفْذَ فِيهَا رَمِيَّةُ الزَّمَانِ
أَوْ تَسْأَلَ لَهَا يَدٌ مِنْ أَيْدِي التَّقْصَانِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ أَنِّي
عَلِمْتُ أَنَّ الْفَجِيعَةَ إِذَا لَمْ تُحَارَبْ بِجَيْشِ الْبُكَاءِ وَلَمْ تُقَاتَلْ
بِالْإِذَاعَةِ وَالْأَشْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاوُهَا وَزَادَتْ أَعْيَاوُهَا
وَإِنَّمَا الْغَمُّ سَمٌّ تَرِيافُهُ الْمُبَائِثَةُ وَالْمَوْتُ خَرَقٌ رَفُوهُ التَّسْلِيَةُ

وَالْعَزِيَّةُ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ

لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً

مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجِيَّ الْبَلَابِلِ

وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ
الْكَمَالِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُوذَةٍ يُعَوِّذُ بِهَا وَجْهَ الْجَمَالِ فَلَا تَنْ
تَكُونُ الْوَاقِعَةُ فِي الصَّغِيرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي الْكَبِيرِ
فَإِلْحَمِدُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّ الْمُنْعَةِ مَنَحَةً وَمَزَجَ بِاللَّتَرَةِ
فُرْجَةً فَسَتَرَ عَوْرَةَ مَنْ حَيْثُ سَلَبَ أَنْسَاءُ وَنَزَهَةً وَكَفَى
مَوْزَنَةً مَنْ حَيْثُ جَلَبَ فُحَيْعَةً وَأَبْقَى الْكَبِيرَ الْكَثِيرَ مِنْ
حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَمَلَ وَالِدًا مِنْ حَيْثُ أَتَكَلَّ
وَالِدَةً وَهَكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ الْمُتَبِيلِينَ الْعَبْدُودِينَ فَإِنَّ
الدَّهْرَ إِذَا سَاءَ لَهُمْ فِي الْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الْكَثِيرِ
وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي الْخَفِيِّ الْمَسْتُورِ صَانِعُهُمْ فِي الْجَلِيِّ الْمَشْهُورِ
وَالْمَدَائِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّمَا تَكُونُ مَحْنَتُهُمْ صَافِيَةً صَرَفًا وَخَالِصَةً
بِحَمْدِ الدَّهْرِ يَعْلَمُ أَيْنَ الزُّبُونُ وَمَنِ الْمَغْبُودُ وَأَنَا
أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَتَوَفَّاةَ لَوَالِدِهَا فَرَطًا وَأَجْرًا
وَكُنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَذُخْرًا وَأَنْ يَحْشُرَهَا شَفِيعًا تُقْبَلُ

شَفَاعَتُهُ وَتُقْضَى فِي وَالِدَيْهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيُعَوِّضُ
عَنْهَا الشَّيْخَ أَخَالَهَا سَوِيَّ الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ شَرِيفَ الْفِعْلِ
وَالْعَرَقِ لَيْسَتْ فِي الشَّيْخِ فِي يَوْمِهِ أَجْرُ الصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ
جَزَاءُ الشَّاكِرِينَ وَلَيْكُونَ قَدْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ
مِنْ طَرَفِي الْعُبُودِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَادِثَةُ خَاتِمَةً
حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَسَاقَةَ عَسَاكِرِ النُّقْصَانِ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا
فِي تِلْكَ الدَّارِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَوْهَبَةً مُسْتَطَرَفَةً وَفَائِدَةً مُسْتَجِدَّةً
مُسْتَانَفَةً حَتَّى يَشْتَغِلَ بِالنَّهَائِي عَنِ الْعَازِي وَبِالْمَدَائِحِ
عَنِ الْمَرَاتِي

وكتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن هشام يعزبه بإمرة
من حظاياه

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْتَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْسِيَّتِهِ وَقَرَّبَتْهُ
إِمْتِنَاعًا مُدَّةً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ مَوَاهِبُ اللَّهِ
وَعَارِيَّتُهُ قَبِضَ إِلَيْهِ الْعَارِيَّةُ ثُمَّ أُعْطِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
الشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَالصَّبْرِ عِنْدَ ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي
الْمُثَلَّبِ وَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ وَأَسْنَى فِي الْعِوَضِ فَأَلْحَمَهُ اللَّهُ
رَبَّ الْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وكتب ابو اسحق الصائغ الى محمد بن العباس بعزیه بطبل
 الدُّنْيَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الرَّئِيسِ أَقْدَارُ تَرُدُّ فِي أَوْقَاتِهَا
 وَقَضَايَا تَجْرِي إِلَى غَايَاتِهَا وَلَا يَرُدُّ مِنْهَا شَيْءٌ عَنْ مَدَاهُ وَلَا
 يُصَدُّ عَنْ مَطْلَبِهِ وَمَنْحَاهُ فَمِنْ كَالِ السَّهَامِ الَّتِي تُثَبَّتُ فِي
 الْأَغْرَاضِ وَلَا تَرْجِعُ بِإِلْعَتِرَاضٍ وَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ
 مَعْرِفَةَ الرَّئِيسِ لَمْ يَأْشُرْ عِنْدَ الزِّيَادَةِ وَلَمْ يَقْطَعْ عِنْدَ
 النُّصِيبَةِ وَأَمِنْ أَنْ يَسْتَخْفَّ أَحَدُ الطَّرَفَيْنِ حُكْمَهُ وَيَسْتَنْزِلَ
 أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ حَزْمَهُ وَلَمْ يَدْعُ أَنْ يُوطِنَ نَفْسَهُ عَلَى النَّازِلَةِ
 قَبْلَ تَزْوُلِهَا وَيَأْخُذَ الْأُهْبَةَ لِلْحَالَةِ قَبْلَ حُلُولِهَا وَأَنْ
 يُجَاوِرَ الْخَيْرَ بِالشُّكْرِ وَيَسَاوِرَ الْعِثَّةَ بِالصَّبْرِ فَيُخَيِّرَ فَائِدَةً
 الْأُولَى عَاجِلًا وَيَسْتَمِرَّ عَائِدَةً الْآخَرَى آجِلًا وَقَدْ
 نَقَذَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَوْلَى الْجَلِيلِ قَدْرًا أَتَمُّ حَدِيثِ
 سِنَا مَا أَرْمَضَ وَأَقْضَى وَأَفْلَقَ وَأَمْضَى وَمَسْنَى مِنَ النَّالِمِ
 لَهُ مَا يَحِقُّ عَلَى مِثْلِي مِمَّنْ تَوَالَتْ أَيْدِي الرَّئِيسِ إِلَيْهِ
 وَوَجِبَتْ مُشَارَكَتُهُ فِي الْهَلِيمِ عَلَيْهِ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
 رَاجِعُونَ وَعِنْدَ اللَّهِ مَنْ نَحْسِبُهُ غُصْنًا ذَوِي وَشَهَابًا خَبَا
 وَفَرَعًا دَلَّ عَلَى أَصْلِهِ وَخَطِيئًا أَنْبَتَهُ وَشَجْبُهُ وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ

أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرَطًا صَالِحًا وَذُخْرًا عَئِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ
 يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ بَيْنَ الْبَيْنِ بِجُودِهِ
 وَمَحَبَّةِهِ وَلَكِنْ كَانَ الْمَصَابُ بِهِ عَظِيمًا وَالْحَادِثُ فِيهِ
 جَسِيمًا لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ تَزَوَّاهُ بِالْإِخْتِرَامِ عَنْ أَقْرِافِ الْأَلْثَامِ وَصَانَهُ
 بِالْإِخْضَارِ عَنْ مَلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ فَوَرَدَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا
 وَصَدَرَ عَنْهَا سَعِيدًا نَقِيَّ الصَّحِيفَةِ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ بَرِيَّ
 السَّاحَةِ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تُدَسِّسْهُ الْخَجَرَايُ وَلَمْ تَعْلُقْ
 بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكَبَائِرُ قَدْ رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ دَفِيقَ الْحِسَابِ
 وَأَسْهَمَ لَهُ الثُّوَابَ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَأَلْحَقَهُ بِالْإِصَادِقِينَ
 الْفَاضِلِينَ فِي الْمَعَادِ وَبَوَّاهُ حَيْثُ فَضَّلَهُ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ
 وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا اخْتَارَ ذَلِكَ
 قَبْضَهُ قَبْلَ رُؤُوبِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ
 وَمُعَايِنَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَتَضَاعَفُ عِنْدَهَا الْحُرْقَةُ وَحِمَاةُ
 مِنْ فِتْنَةِ الْمُرَاقَفَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْمَفَارِقَةِ وَكَانَ هُوَ
 الْمُبْتَغَى لِدُنْيَاهُ وَالْوَاجِدَ الذَّخِيرَةَ لِأَخْرَاهُ وَعَزِيْرُ
 عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْمُهَوَّنِ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا

أَوْفَى التَّوَجُّعِ عَلَيْهِ وَاجِبَ فَقْدِهِ فَهُوَ لَهُ سُلَالَةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ
وَلَكِنَّ ذَلِكَ طَرِيقُ التَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ التَّعْزِيَةِ وَالْمَنْجَى
الْمَسْلُوكُ فِي مُخَاطَبَةِ مِثْلِهِ مِمَّنْ يَقْبَلُ مَنَفْعَةَ الذِّكْرِ وَإِنْ
أَغْنَاهُ الْأَسْتَبْصَارُ وَلَا يَأْتِي وَرُودَ الْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَاهُ
الْإِعْتِمَارُ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَى الرَّئِيسَ الْمَصَائِبَ وَيُعِيدُهُ مِنَ
النَّوَائِبِ وَيَرَعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي
لَا يُرَامُ وَيُثَبِّتُهُ مَوْفُورًا غَيْرَ مُتَقَصٍّ وَيَقْدِمُنَا إِلَى السُّوءِ
أَمَامَهُ وَإِلَى الْعَذُورِ قُدَامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هَذِهِ
الدَّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَحْوَالِي وَأَعْدَهَا مِنْ
أَبْلَغِ أَمَائِي وَأَمَائِي

والمصحح إلى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِعٌ وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ
الْمَصَارِعِ فَلَمْ يَصُحِّبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنْ
الْأَقْدَارِ بِفِتْرَةٍ لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرِّزِيَّةُ إِذَا أَغْنَاكَتْ وَلَمْ
يَطْمَئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَاكَتْ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَةً
وَإِنَّ لِلْبَالِي كَهْنَةً وَوُثْبَةً وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي
الْأُمُورِ وَمَصَائِرِهَا وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِرِهَا وَإِنَّمَا

الْمَوْتُ طُورٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي
 الْمَوْجُودِ وَلَا أَرِيدُكَ عِلْمًا بِالْكُونِ وَشَرَائِعِهِ وَالْكَائِنِ
 وَطِبَائِعِهِ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَخِئْتُهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ وَحَلَّ
 بِسَاحِنِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ وَحَسَنِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَيَّ بِمَا عِنْدَكَ
 مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ وَمِنْ النَّاسِيَةِ مَا تَعَلَّمُهُ مِنْ حَالٍ
 مَنْ يُخَاطِبُكَ وَهُوَ سَائِلُ الْخِرَاجِ وَمَا أَخْلَفَنِي بِأَنْ أَقُولَ
 إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَبًا عَلَى أَشْجَابِي وَنَكَأَ مَا تَهَانِلُ
 مِنْ فُرَحَةٍ أَحْزَانِي وَلَكِنِّي قَدْ صَبَّرْتُ الدَّهْرَ إِلَى حَالٍ لَا
 تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ وَلَا أَبَالِي مَعَهَا بِسَلَمٍ وَلَا قِتَالٍ فَكُنَّا نَمَا
 إِيَّايَ عَنِّي أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِيَالٍ
 فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
 عَلَى أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَعَزٍ لَمْ يَزِدْهُ كَلَامُ
 الْمُعْزِينَ عَلَى إِذْكَارِ مُصَابِهِ وَتَجْدِيدِ لَوْعَتِهِ وَاكْتِسَابِهِ
 وَهَذَا أَمْتَحَانُ الرِّجَالِ وَمَوْطِنُ الصَّبْرِ وَالْإِحْتِمَالِ
 وَالْمَرْءُ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ يُعْتَمَنُ وَالصَّبْرُ عَلَى مِقْدَارِ الْهِمَمِ
 وَالْفِطْنِ وَإِنَّ الْأَحْزَانَ مَعْقُودَةٌ أَطْرَافُهَا بِالْعِزَاءِ مَوْصُولَةٌ

أَوَاخِرُهَا بِالنَّاسَاءِ فَأَجْعَلِ الْآخِرَةَ الْأُولَى وَلَا تُبَلِّغِ
 الدَّهْرَ مِنْ نَفْسِكَ مَا مُوَلَا وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُقَيِّضَ لَنَا
 بِسَلَامَتِكَ عِوَضًا كَرِيمًا وَيَصُونَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ
 سَلِيمًا وَيُفْرِغَ عَلَى قُلُوبِكُمْ صَبْرًا جَمِيلًا وَعَلَى مَنْ فَقَدْتُمْ
 عَفْوًا عَسِيمًا بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ

فصل

في الخطب

خطبة للإمام علي

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَلِزُومِ طَاعَتِهِ
 وَتَقْدِيمِ الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ قَرَّطَ فِي عَمَلِهِ لَمْ
 يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ أَيْنَ التَّعَبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْعُفْعُ
 لِحُجِّ الْجِبَارِ وَمَفَاوِزِ الْفِقَارِ يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ الْأَنْجِبَالِ
 وَعَالِجِ الرِّمَالِ يَصِلُ الْغُدُوَّ بِالرُّوْحِ وَالْمَسَاءَ بِالصَّبَاحِ
 فِي طَلَبِ مُخْتَرَاتِ الْأَرْبَاحِ هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ فَعَظُمَتْ
 بِنَفْسِهِ رَزِيَّتُهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا أَكْتَسَبَ غُرُورًا
 وَوَافِيَ الْفِيَامَةَ مُحْسُورًا أَيُّهَا اللَّاهِي الْغَارُ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ

وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَقْرَعُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ لَكَ
حِجَابًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا وَلَا
يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ فِيكَ كَبِيرًا حَتَّى يُوَدِّيكَ إِلَى
قَعْرِ مُظْلَمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوَحِّشَةٌ كَفَعَلِهِ بِالْأُمَمِ الْمُخَالِفَةِ
وَالْفَرُونَ الْمَاضِيَةِ ابْنِ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ
وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ وَبِالْهَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ وَبِالْكَثِيرِ
لَمْ يَمْتَعِ ابْنِ مَنْ قَادَ الْخُبُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ أَضْحَوْا رِفَاتًا
تَحْتَ الثَّرَى أَمْوَانًا وَأَنْتُمْ بِكَاسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسِيلِهِمْ
سَالِكُونَ عِبَادَ اللَّهِ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ وَأَعْمَلُوا لِلْيَوْمِ
الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ الْجِبَالُ وَتَشَقُّ السَّمَاوَاتُ بِالْغَمَامِ وَتَطَايُرُ
الْكُتُبُ عَنِ الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ فَأَيُّ رَجُلٍ يَوْمَئِذٍ تَرَكَ
أَقَائِلَ هَاؤُمُ أَقْرَأُ كِتَابِيَهُ أَمْ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيَهُ نَسَأَلُ
مَنْ وَعَدَنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنَّتَهُ أَنْ يَقِينَا سَخَطَهُ إِنَّ أَحْسَنَ
الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ
مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

خطبة للحجاج حين ولّاهُ عبد الملك بن مروان العراق وامره ان

يخبر الناس الى المهلب في حرب الازارقة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلَبُ الْعُودِ مِنْ سَلَفِي نِزَارٍ كَنْصَلُ السِّيفِ وَضَاحُ الْحَبِيبِ
 وَمَاذَا تَبَغَّيَ الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
 أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعَ أَشْدِي وَتُعَذِّدُنِي مِدَاوِرَةُ الشُّؤْنِ
 أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْمِلُ الشَّرَّ بِحِمْلِهِ وَأَحْذَرُ بِنَعْلِهِ وَأَجْزِيهِ
 بِمِثْلِهِ وَإِنِّي لَأَرَى ابْصَارًا طَامِحَةً وَأَعْنَاقًا مُتَطَاوِلَةً
 وَرُؤُوسًا قَدْ أَتْنَعَتْ وَحَانَ قِطَافُهَا وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَامِ وَاللَّحَى تَتَرَفَّقُ
 هَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ فَاشْتَدِّي زَيْمُ
 قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِي حُطَمَ

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ
 وَلَا بِحِزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمَ
 قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَابِي أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ
 مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِي
 قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُوا مَا عَلَيَّ وَأَنَا شَخَّ جَلْدُ
 وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عِرْدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
 إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ وَمَعْدِنَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَمَسَاوِي
 الْأَخْلَاقِ لَا يُغْمِزُ جَانِبِي كَنْغَمَارِ النَّيِّينِ وَلَا يَقَعُّ لِي

بِالشَّيْطَانِ وَلَقَدْ فُرِزْتُ عَنْ ذِكَاكِ وَفُتِّشْتُ عَنْ تَجَرِبَةٍ وَأُجْرِيْتُ
 مَعَ الْغَايَةِ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَرَ كِنَانَتَهُ ثُمَّ عَجِمَ عِيدَانَهَا
 فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عُوْدًا وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ
 وَرَمَاكُمْ بِي فَإِنَّهُ قَدْ طَالَ مَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْفِتَنِ وَسَنَتُمْ سُنَنَ
 الْبَغْيِ وَسَعَيْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ وَأَيْمُ اللَّهُ لَا لِحُؤْنَكُمْ لِحَوِّ الْعَصَا
 وَلَا فَرَعَنْكُمْ فَرَعِ الْهَرَوَةِ وَلَا عَصَبَكُمْ عَصَبِ السَّلْمَةِ
 وَلَا ضَرْبَكُمْ ضَرْبِ عِرَابِ الْأَيْلِ أَمَا وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ
 وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ
 وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا يَقُولُونَ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَتَسْتَفِيدُنَّ عَلَى
 طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَا دَعْنُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ مَنْ
 وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ مِنْ بَعَثِ الْمُهَلَّبِ سَفَكَتُ دَمَهُ وَأَنْتُمْ بَيْتُ
 مَالِهِ وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ

وله ايضا بعد وقعة دبر المجاهم

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ
 اللَّحْمَ وَالْدَّمَ وَالْمَسَامِعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَادَ وَالشِّفَاهُ ثُمَّ
 مَضَى إِلَى الْأَمْخَاخِ وَالْأَصْبَاخِ ثُمَّ ارْتَنَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ بَاضَ
 وَفَرَّخَ فَحَشَاكُمْ شِقَاقًا وَنِفَاقًا وَإِنْ أَشْعَرَكُمْ خِلَافًا اتَّخَذْتُمْهُ

دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ
 وَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجَرِبَةٌ أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقَعَةٌ أَوْ يَحْجِزْكُمْ
 إِسْلَامٌ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيْمَانٌ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَاِ حَيْثُ
 رُمْتُمُ الْمَكْرَ وَسَعَيْتُمُ بِالْغَدْرِ وَأَسْتَجَبْتُمُ لِلْكَفْرِ وَظَنَنْتُمْ
 أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ
 تَنْسَلُونَ لَوْذَا وَتَهْزُمُونَ سِرَاعًا يَوْمَ الزَّوَايَةِ وَمَا يَوْمُ
 الزَّوَايَةِ بِهَا كَانَ فَشَلُّكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبَرَاءَةُ اللَّهِ
 مِنْكُمْ وَنُكُوصُ وَلِيِّهِ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْأَبِلِ الشَّوَارِدِ
 إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَارِعِ إِلَى أَعْطَانِهَا لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ مِنْكُمْ
 عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلْبِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى عَضَّكُمْ السِّلَاحُ
 وَقَضَمْتُمْ الرِّمَاحَ وَيَوْمَ دَبَّرَ الْجَمَاجِمَ وَمَا دَبَّرَ الْجَمَاجِمَ
 بِهِ كَانَتْ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَا حِمُّ بِضَرْبِ بَزِيلِ الْهَامِ عَنْ
 مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ
 الْكُفَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ وَالْغَدَرَاتِ بَعْدَ الْخَتَرَاتِ وَالثَّوَرَةِ
 بَعْدَ الثَّوَرَاتِ إِنْ بُعِثْتُمْ إِلَى نُغُورِكُمْ غَلَّتُمْ وَخْتِمٌ وَإِنْ
 أَمِيتُمْ أَرْجِفْتُمْ وَإِنْ خِفْتُمْ نَافَقْتُمْ لَا تَذْكُرُونَ نِعْمَةً وَلَا
 تَشْكُرُونَ نِعْمَةً يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلِ اسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ أَوْ

اسْتَفْوَاكُمْ غَاوٍ أَوْ اسْتَفْزَكُمُ عَاصٍ أَوْ اسْتَنْصَرَكُمْ ظَالِمٌ
 أَوْ اسْتَعَضَدَكُمْ خَالِجٌ إِلَّا وَتَقْتُمُوهُ وَأَوْيْتُمُوهُ وَعَزَّزْتُمُوهُ
 وَانْصَرْتُمُوهُ وَرَضِيْتُمُوهُ وَأَرْضِيْتُمُوهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ
 شَغَبَ شَاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ
 إِلَّا كُنْتُمْ أَتْبَاعُهُ وَأَنْصَارُهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنْهَكُمُ
 الْمَوَاعِظُ أَلَمْ تَزَجُرْكُمْ الْوَقَائِعُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا أَنَا
 لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الذَّابِّ عَنْ فِرَاحِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْمَدْرَ وَيُبَاعِدُ
 عَنْهَا الْحَجَرَ وَيَكْنِهَا مِنَ الْمَطَرِ وَيَجْمِيهَا مِنَ الضَّبَابِ
 وَتَجْرُسُهَا مِنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ الشَّامِ أَنْتُمْ الْحُجَّةُ وَالرِّدَاءُ
 وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ

ولعنة بن أبي سفيان

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَاتِبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ
 الرَّمَاكِ وَطُبَاتِ السُّيُوفِ حَتَّى صِرْنَا شَجَى فِي لَهَاكُمْ مَا تُسِغُهُ
 حُلُوفُكُمْ وَأَقْدَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ مَا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جَفُونُكُمْ
 أَفَحِينَ اسْتَدَّتْ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْتَرْخَتْ عَقْدُ
 الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا أَرْجَفْتُمْ بِالْخُلَيْفَةِ وَأَرْدْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةِ
 وَخَضْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثَ

فَارْجُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ بِأَخْبَرِ السَّارِّ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ وَعَلِمُوا
 أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَعْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْلِحُوا لَنَا مَا
 ظَهَرَ وَنَكِلْكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيهَا بَطْنٌ وَأُظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ
 أَضْمَرْتُمْ شَرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَى اللَّهِ
 اتَّوَكَّلْ وَبِهِ أَسْتَعِينُ

وله أيضاً

يَا حَامِلِي الْأَمِّ أُنُوفٍ رُكِبَتْ بَيْنَ الْأَمِّ أَعْيُنٍ إِنَّمَا قَلَمْتُ
 أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسِي إِيَّاكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذَا
 كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا إِذَا أُبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى
 الْوَلَاةِ وَالْتِنَقْصِ لِلْسَّلَفِ فَوَاللَّهِ لَا قُطْعَنَ عَلَى ظُهُورِكُمْ
 بِطُورِ السَّيَاطِلِ فَإِنْ حَسَمَتْ دَاءَكُمْ رَأَيْتُمُ الْإِفَالَ سَيْفٌ مِنْ
 وَرَائِكُمْ وَلَسْتُ أَجُلُّ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا جَدْتُمْ بِالْبَعْصِيَةِ
 وَلَا أَوْسَكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحُسْنَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ
 أَبْرُ وَأَنْفَى

وَيُنَسَّبُ إِلَى سَعِيدِ بْنِ وَائِلٍ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَهْرٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ

فَخُذُوا مِنْ مَّوَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا حَبِيتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِيتُمْ الْيَوْمَ عَمَلٌ بِلَا حِسَابٍ وَغَدًا حِسَابٌ بِلَا عَمَلٍ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَهْلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكُ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ فَقَدَّ مُوَابِعُضًا يَكُونُ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تَتْرَكُوا كُلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ كَلًّا



فصل

في الدَّمِّ وَالْقَطِيعَةِ

كتب ابو الفضل بن العبيد الى ابي عبدالله الطبري

وَصَلَّ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْإِنْطِلَاقِ مِنْ عَنَتِ الْفِرَاقِ وَوَافَقَنِي مُسْتَرْجِعَ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَائِحِ مِنْ جَوَى الْأَشْتِيَاقِ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ أَلْهَأُ لُوفٍ فِي تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ الْأَشْكَالِ وَأَعْتَقَنِي مِنْ مَخَالِكَ إِعْنَاقًا لَا تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلَا وَابِرًا نِي مِنْ عَهْدِكَ بَرَاءَةً لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرَكًا وَلَا أَسْتَنْتَاءً وَتَرَعَ مِنْ عُنِّي رِبْقَةَ الذُّلِّ فِي إِخَائِكَ بِيَدَيَّ

جَفَاءُكَ وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ نِيرَانِ
 الشَّقِيقِ بِالسُّلُوقِ وَشَنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهَبُ فِي صَدْرِي مِنْ
 الْوَجْدِ مَاءَ الْبَاسِ وَمَسَحَ أَغْشَارَ قَلْبِي فَلَا مَ فُطُورِي
 بِجَمِيلِ الصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلَاحَ كَيْدِي فَلَا حَمَّ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ
 الْعِزَاءِ وَتَغْلَغَلَ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي فَعَوَّضَ عَنِ النَّزَاعِ
 إِلَيْكَ نَزُوعًا عَنْكَ وَمِنْ الذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ
 وَكَشَفَ عَنْ عَيْنِي ضَبَابَاتِ مَا أَفْقَادَ الْهَوَى عَلَى بَصَرِي
 وَرَفَعَ عَنْهَا غَيَابَاتِ مَا سَدَلَهُ الشَّكُّ دُونَ نَظَرِي حَتَّى
 حَذَرَ النِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شَيْمِكَ وَسَفَرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقَتِكَ
 فَأَذْهَبَ فَقَدْ أَتَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ وَرَدَدْتُ إِلَيْكَ
 ذِمَّ عَهْدِكَ

وله إليه أيضاً من رسالة

وَهَبْنِي سَكْتًا لِدَعْوَاكَ سَكُوتَ مُتَعَجِّبٍ وَرَضِيْتُ رَضَى
 مُسَخِّطٍ أَيْرَضَى الْفَضْلَ أَجْزَابَكَ بِأَهْدَائِهِ مِنْ يَدَيَّ أَهْلِيهِ
 وَأَصْحَابِهِ وَأَحْسَبُكَ لَمْ تُزَاحِمِ خُطَابَهُ حَتَّى أَنْشَدَكَ
 لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ بِخُطْبُهَا ضُرِجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ
 وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حَلِي تَصَدَّيْتُ لَهُ وَأَنْتَ لَوْ تَنَوَّجْتَ

بِالثَّرْيَا وَتَقَلَّدَتْ فِلَادَةَ الْفَلَكَ وَتَمَنَّطَتْ بِمَنْطَقَةِ الْحُجُوزَاءِ
وَتَوَشَّحَتْ بِالْعَبْرَةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَطْلًا وَلَوْ تَدَنَّرْتَ أَنْوَارَ
الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجْتَ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَدْرِ الْبَاهِرِ
مَا كُنْتَ إِلَّا غَفْلًا لَا سِمَامَ مَعَ قِلَّةِ وَفَائِكَ وَضَعْفِ إِخَائِكَ
وِظْلَمَةِ مَا بُصِرَهُ مِنْ خِصَالِكَ وَتَرَكَمُ الدُّجَى فِي ضَلَالِكَ
وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةٍ مَنَدِمٍ
بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي أَبْدَانِكَ وَتَصَفُّي حَالَاتِ الدَّهْرِ
فِي اخْتِيَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتُهُ وَتَقْوِيزِ مَا أَسَسْتُهُ
فَإِنَّ الْوَدَادَ غَرَسُ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرَى ثَرِيًّا وَمَا رَوِيًّا لَمْ
يُجْزِ زَكَوُّهُ وَلَمْ يَجْرِ مَاؤُهُ وَلَمْ يَنْفُخْ أَزْهَارُهُ وَلَمْ يُجْنِ
ثِمَارُهُ وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ مَلَكْتُ الضَّلَالَ قِيَادِي حَتَّى
أَشْكَلَ عَلَيَّ مَا يَخْنَأُ إِلَيْهِ الْمُتَمَارِجَانِ وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ
الْمُتَأَكِّفَانِ وَهِيَ مُمَارَجَةٌ طَبَعٍ وَمُوَافَقَةٌ شَكْلٍ وَخَلْقٍ
وَمُطَابَقَةٌ خِيمٍ وَخَلْقٍ وَمَا وَصَلْتُنَا حَالَ جَمْعَتَنَا عَلَى أَثِلَافٍ
وَحَمَتْنَا مِنْ أَخِلَافٍ وَنَحْنُ فِي طَرْفٍ ضِدِّينَ وَبَيْنَ
أَمْرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَلَّتْ الْأَمْرُ وَجَدْتَ أَدْنَى مَا
بَيْنَنَا مِنَ الْبَعَادِ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ الْوَهَادِ وَالْجِبَادِ وَأَبْعَدُ

مِمَّا بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَأَيْسَرَمَا بَيْنَنَا مِنَ الْفَنَارِ أَكْثَرَ
مِمَّا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْأَعْلَانِ وَالْأَسْرَارِ

وكتب أبو الفاضل بدیع الزمان الهمداني من رسالة الى ابي نصر

ابن المرزبان

كُنْتُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
أَتَمَنَّى لِلْكِتَابِ الْخَيْرَ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ
الرِّزْقِ وَيَهْدُ لَهُمْ أَكْنَافَ الْعَيْشِ وَيُوْطِّعَهُمْ أَعْرَافَ
الْمَعَادِ وَيُوْتِيَهُمْ أَصْنَافَ الْفَضْلِ وَيُرَكِّبَهُمْ أَكْنَافَ الْعِزِّ
وَقُصَارَايَ أَنْ أَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ لَا يُبَيِّلَهُمْ فَوْقَ
الْكَفَايَةِ وَلَا يَهْدُ لَهُمْ فِي حَبْلِ الرَّعَايَةِ فَشَدَّ مَا يَطْعُونَ
لِلنِّعْمَةِ يَنَالُونَهَا وَالدرَجَةَ يَعْلُونَهَا وَسَرَعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ
عَالٍ بِهَا يَنْظِمُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ وَتُنْسِمُهُمْ
أَيَّامُ اللَّذُونَةِ وَأَوْقَاتُ الْخُشُونَةِ وَأَزْمَانُ الْعُدُوبَةِ سَاعَاتِ
الصَّعُوبَةِ وَالْكِتَابِ مَزِيَّةٍ فِي هَذَا الْبَابِ فَبَيْنَاهُمْ فِي
الْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ كَمَا أُنْظِمَ السَّمُطُ وَفِي الْعُزْلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا
أُنْفَرَجَ الْمُسْطُ حَتَّى لَحَظَهُمُ الْحَدُّ لَحَظَةً حَقَّقَاءَ بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ
أَوْ صَكِّ جِعَالَةٍ فَيَعُودُ عَامِرٌ وَدُّهُمْ خَرَابًا وَيَنْقَلِبُ شَرَابٌ

عَهْدِهِمْ سَرَابًا فَمَا عَلَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى أُسْبِلَتْ سَتُورُهُمْ
وَلَا غَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَلَتْ بُدُورُهُمْ وَلَا اتَّسَعَتْ
دُورُهُمْ إِلَّا ضَاقتْ صُدُورُهُمْ وَلَا أَوْقَدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا
أَنْطَفَأَ نُورُهُمْ وَلَا زَادَ مَالُهُمْ إِلَّا تَقَصَّ مَعْرُوفُهُمْ وَلَا
وَرِمَتْ أَكْبِيَاسُهُمْ إِلَّا وَرِمَتْ أَنْفُسُهُمْ وَلَا صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ
إِلَّا فَسَدَتْ أَفْعَالُهُمْ وَلَا حَسُنَتْ حَالُهُمْ إِلَّا قَبِحَتْ خِلَالُهُمْ
وَلَا فَاضَ جَاهُهُمْ إِلَّا غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ وَلَا لَانَتْ بُرُودُهُمْ
إِلَّا صَلَبَتْ حُدُودُهُمْ وَلَا عَلَتْ جُدُودُهُمْ إِلَّا سَفَلَ جُودُهُمْ
وَلَا طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا اقْصُرَتْ أَيْادِيهِمْ وَقُصِرَ أَحَدُهُمْ
مِنْ الْعَجْدِ أَنْ لَا يُخْرِجَ مَالَهُ مِنْ عَهْدَةِ خَاتَمِهِ إِلَّا يَوْمَ مَاتِهِ
فَهُوَ يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْ وَارِثِ مَمَانِهِ يَسْلُكُ فِي الْغَدْرِ
كُلَّ طَرِيقٍ وَيَبِيعُ بِالْذِّرْهِمِ أَلْفَ صَدِيقٍ

فَصْلٌ

فِي الدُّعَاءِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْلِدْ بَارِدٌ وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ وَاللِّسَانُ

مُنْطَلِقٌ وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَالتَّوْبَةُ
مَقْبُولَةٌ وَالنَّصْرُ مَرْجُوٌّ قَبْلَ أَنْ يَفْرَاقَ وَحْشَكَ
النَّفْسِ وَعَلَى الصَّدْرِ وَتَزِيلُ الْأَوْصَالِ وَتُصَوِّلُ
الشَّعْرَ وَاجْنِيافِ الثَّرَابِ وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ
حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ وَيَنْقَطِعُ الْعَمَلُ أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ
وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْفَتْرِ وَغُمَّتِهِ وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَتِهِ وَعَلَى
الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ إِغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً
لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدْعُ كَرْبًا اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا أَفْتَرَضْتَ
عَلَيَّ وَلَمْ أُوَدِّهِ إِلَيْكَ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثَبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ
ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ عَلَى مِنْكَ النِّعَمُ وَتَدَارَكْتُ
عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا
وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ
الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا
وَإِذَا أُبْطِلَتْهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا وَاجْعَلْ لِي
قَلْبًا تَوَّابًا أَوْ أَبًا لَا فَاحِرًا وَلَا مُرْتَابًا اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا

أَحْسِنُوا أَزْدَادُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا اللَّهُمَّ لَا تَحْقِقْ
 عَلَيَّ الْعَذَابَ وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ
 عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٌ ذُنُوبُهُ ضَمِينٌ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ
 ضَعِيفٌ وَمَتْنُهُ عَاجِزٌ قَدْ أَنْتَهتْ عِدَّتُهُ وَخَلَقْتَ جَدَّتُهُ
 وَتَمَّ ظَمُؤُهُ اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا
 أَدْعُوكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيبَةِ وَإِسَاغَةِ الرِّيقِ
 وَتَأْخِرُ الشَّدَائِدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَعَلَى
 عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي قَبِيلَهُ وَلَا
 يُخَيِّبُ سَائِلُهُ وَلَا يُرَدُّ رَسُولُهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ
 إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلِيلِ إِلَّا لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا
 أَوْ أَغْشَى فُجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
 شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَغُضَالِ الدَّاءِ وَخِيَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ
 النِّعْمَةِ

وقال أعرابي غيره

اللَّهُمَّ إِنَّ اسْتَغْفَارِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلْوَمِّ
 وَإِنْ تَرَكِي الْإِسْتِغْفَارَ مَعَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجَزَ إِلَهِي
 كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي وَكَمْ أَتَبَعَّضُ

إِلَيْكَ بِذُنُوبِي وَأَنَا فَاقِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا
وَإِذَا وَعَدَ وَفَى

وقال آخر

اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ وَإِنَّ رَحْمَتَكَ
إِلَيَّ لَا تَنْقُصُكَ فَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَهَبْ لِي مَا لَا
يَنْقُصُكَ

فصل

في القول عند الوقوف على القبور

قالت أعرابية

وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ نَعْدُ غَدَوْتُكَ رَضِيْعًا وَقَدَدْتُكَ سَرِيْعًا
وَكَا نَهْ أَمْرٌ يَكُنْ بَيْنَ الْحَيَاتَيْنِ مِدَّةَ النَّدَى يَعِيشُكَ فِيهَا فَأَضْمَيْتَ
بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْغَضَارَةِ وَرَوْنِي الْحَيَاةَ وَالنَّسَمَ مِنْ طِيبِ
رَوَائِحِهَا تَحْتَ طَبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرُفَاتًا سَمِيْعًا
وَصَعِيدًا جُرْزًا أَيُّ بَنِيٍّ لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ
الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْإِلَى وَرَمَتْنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى أَيُّ
بَنِيٍّ لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحَ دَاجٍ ظَلَامُهُ أَيُّ

رَبِّ وَمِنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خُلُقِكَ الْجُودُ وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ
فَلَمْ تُبْتَعْني بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكًا ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ
وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ
اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسِرْ وَحْشَتَهُ وَأَسْتُرْ عَوْرَتَهُ يَوْمَ
تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ وَالسُّوْأَاتُ أَيُّ بَنِي إِبْنِي قَدْ تَزَوَّدْتُ
لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ
مَعَادِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ الرِّضَى بِرِضَايَ عَنْهُ أَيُّ
بَنِي أَسْتَوْدَعُكَ مَنْ أَسْتَوْدَعْنِيكَ فِي أَحْسَائِي جَنِينًا
وَأُنْكَلَ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَقْلَقَ
مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَبَ أُنْسِهِنَّ
وَأَشَدَّ وَحْشَتِهِنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ
الْأَحْزَانِ

وقالت امرأة للاحنف بن قيس

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ مَحَبَّةٍ فِي جَنَنِ وَمُدْرَجٌ فِي كَمْفَنِ نَسَّالُ
الَّذِي فَجَعَنَا بِمَوْتِكَ وَأَبْتَلَانَا بِفَقْدِكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ
الْخَيْرِ سَبِيلَكَ وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي
قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي

الْعَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ
 مُسَوِّدًا وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوَفَّدًا وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَعِيبِينَ
 وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَمِيدًا مُوَدُّدًا وَمِتَّ سَعِيدًا
 مَفْقُودًا

وقال حيان بن سلى على قبر عامر بن الطفيل

إِنِّعَمْ ظِلَامًا يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَدْ كُنْتَ تَشْنُ الْغَارَةَ وَتَحْيِي
 الْحَجَارَةَ سَرِيعًا بِوَعْدِكَ بَطِيئًا بِوَعْدِكَ وَكُنْتَ لَا تَضِلُّ
 حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ وَلَا تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ اللَّيْثُ وَلَا تَعْطَشُ
 حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ وَكُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ حِينَ لَا تَظُنُّ نَفْسًا
 بِنَفْسٍ خَيْرًا

خَاتَمٌ

في الوصف

فَقَرَّ جَارِيَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبُلْغَاءِ فِي صِفَاتِ شَتَّى

في وصف البلدان

بَلَدَةٌ كَأَنَّهَا صُورَةٌ جَنَّةٍ أَلْخُلْدِ مَنقُوشَةٌ فِي عُرْضِ الْأَرْضِ *
 بَلَدَةٌ كَأَنَّ مُحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةٌ فِيهَا وَمَحْصُورَةٌ فِي نَوَاحِيهَا *
 بَلَدَةٌ تَرَاهَا عَنَدَرٌ وَحَصْبَاءٌ وَهَآءِثِقٌ وَهَآءِهَا نَسِيمٌ وَمَآءُهَا
 رَحِيقٌ * بَلَدَةٌ مَعْشُوقَةٌ أَلْسَكِي رَحْبَةُ الْمَثْوَى كَوَكْبِهَا
 يَقْظَانُ وَجُوهَهَا عُرْيَانٌ يَوْمُهَا غَدَاةٌ وَلَيْلُهَا سَحَرٌ * بَلَدَةٌ
 وَاسِعَةُ الرُّفْعَةِ طَيِّبَةُ الْبُتْعَةِ وَاسِطَةُ الْيَلَادِ وَسَرَّتْهَا وَوَجْهَهَا
 وَغَرَّتْهَا

في وصف الفلاع

قَلْعَةٌ حَلَقَتْ بِأَنْجُو تَنَاجِي السَّمَاءَ بِأَسْرَارِهَا * قَلْعَةٌ
 تَتَوَسَّحُ بِالْغَيُومِ وَتَجْبَلِي النُّجُومَ * قَلْعَةٌ مَتْنَاهِيَّةٌ فِي الْخَصَانَةِ
 مُمْتَنِعَةٌ عَنِ الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَضْيَقِ
 الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ لَمْ تَزِدْهَا إِلَّا يَامُ إِلَّا نُبُو

أَعْطَافٍ وَأَسْتِصْعَابَ جَوَانِبِ وَأَطْرَافٍ قَدْ مَلَّ الْهَلُوكُ
حَصَارَهَا فَفَارَقُوهَا عَنْ طِمَاحٍ مِنْهَا وَشِمَاسٍ وَسَمِيتِ
أُحْيُوشُ ظِلِّهَا فَعَاذَرَتْهَا بَعْدَ قُنُوطِ وَيَاسٍ فَبِي حَيَّ لَا
يُرَاعُ وَمَعْقِلٌ لَا يُسْتَطَاعُ كَانَ الْأَيَّامَ صَالِحَتَهَا عَلَى الْأَعْفَاءِ
مِنَ الْمُحَوِّدِ وَاللَّيَالِي عَاهَدَتْهَا عَلَى النَّسَائِمِ مِنَ الْقَوَارِعِ

في وصف الدور

دَارُ قَرَارٍ تُوَسِّعُ الْعَيْنَ قُرَّةً وَالنَّفْسَ مَسْرَةً كَانَ
بَانِيهَا أَسْتَسَلَفَ الْحَبْنَةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ * دَارُ نَجَلٍ مِنْهَا الدُّورُ
وَتَنَقَّصُ عَنْهَا الْقُصُورُ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ
أَنْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ * دَارُ قَدْ أَقْتَرَنَ الْيَمَنُ بِيَمَنِهَا
وَالْبُسْرُ بِبُسْرَاهَا الْجُسُومُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ وَالْعُيُونُ عَلَى
سَفَرٍ * دَارُ دَارٍ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا وَفَارَ بِالْحُسْنِ سَهْمُهَا
بِخْدَمِهَا الدَّهْرُ وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ وَيَكْنِيهَا النَّصْرُ هِيَ مَرْتَعُ
النَّوَظِرِ وَمَتْنَفَسُ الْخَوَاطِرِ أَخَذَتْ أَدْوَاتِ الْحِنَانِ
وَضَحِكَتْ مِنَ الْعَبَقَرِيِّ الْحِسَانِ

في وصف الديار الخالية

دَارُ كَبِسَتْ الْبَلَى وَتَعَطَّلَتْ مِنَ الْحَلَى صَارَتْ مِنْ

أَهْلَهَا خَالِيَةً بَعْدَمَا كَانَتْ بِهِمْ خَالِيَةً قَدْ أَنْفَدَ الْبَيْنُ سُكَّانَهَا
وَأَقْعَدَ حِيطَانَهَا * دَارُ شَاهِدِ الْيَأْسِ مِنْهَا يَنْطِقُ وَحَبْلُ
الرَّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ كَأَنَّ عُمْرَانَهَا يُطَوِّى وَخَرَابُهَا يُنْشَرُ
أَرْكَانُهَا قِيَامٌ وَقُعُودٌ وَحِيطَانُهَا رُكْعٌ وَسُجُودٌ
بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ

دُمُوعِي فَأَيَّ الْحَاجَرَيْنِ الْيَوْمُ
أَمْسَتَعِرَا يَبْكِي عَلَى اللَّهِ وَاللَّهِ
أَمْ الْآخِرَ يَبْكِي شَجْوَهُ فِيهِمْ

في وصف ايام الربيع

يَوْمٌ جَلَابِيبُ غَيْوَمِهِ رِوَاقٌ وَأَرْذِيَّةُ نَسِيمِهِ رَفَاقٌ *
يَوْمٌ سَمَاءُهُ فَاخِيَّةٌ وَأَرْضُهُ طَاوُوسِيَّةٌ * يَوْمٌ مَهْسَكُ السَّمَاءِ
مُعْصِفُ الْهَوَاءِ مُعْبِرُ الرُّوْضِ مُصْنَدِلُ الْمَاءِ * يَوْمٌ
تَبَسَّمَ عَنْهُ الرَّبِيعُ وَتَبَرَّجَ عَنْهُ الرُّوْضُ الْمَرْبِيعُ * يَوْمٌ كَانَ
سَمَاءُهُ مُخْدَتَبَاكِي وَأَرْضُهُ عُرُوسٌ تَحْلِي * يَوْمٌ دَجْنُهُ
عَاكِفٌ وَقَطْرُهُ وَاكِفٌ

في وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا وَتَأَنَّقَ وَاشِيهَا * رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ

الْمُنْظَمَةِ عَلَى الْبُرُودِ الْمُنْمِنَةِ * رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا كَفَتْ
الْمَطَرِ وَدَجَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى * رِيَاضٌ كَالْعَرَائِسِ فِي
حَلِيِّهَا وَزَخَارِفِهَا وَالْقِيَانِ فِي وَشِيِّهَا وَمَطَارِفِهَا بِاسِطَةٌ
زُرَابِيهَا وَأَنْمَاطُهَا نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَاظُهَا زَاهِيَةٌ
بَحْمَرَاتُهَا وَصَفَرَاتُهَا تَائِهَةٌ بَعِيدَاتُهَا وَغُدْرَانُهَا كَأَنَّهَا
أَحْفَلَتْ لَوْفِدٍ أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ * رَوْضَةٌ قَدْ
تَضَوَّعَتْ بِالْأَرَجِ الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا وَتَبَرَّجَتْ فِي ظُلْلِ
الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا وَتَنَافَحَتْ بِنَوَاحِ الْمِسْكِ أَنْوَارُهَا
وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ النُّطْقِ أَطْيَارُهَا * بُسْتَانٌ أَنْهَارُهُ
مُخْفُوفَةٌ بِالْأَزْهَارِ وَأَشْجَارُهُ مُوقَرَةٌ بِالثِّمَارِ * أَشْجَارٌ كَأَنَّ
الْحُورَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا وَحَلَّتْهَا عُقُودَهَا *
شَقَائِقُ كَتِيجَانِ الْعَقِيقِ عَلَى رُؤُوسِ الزُّنُوجِ كَأَنَّهَا أَصْدَاغُ
الْمِسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمُرَدَّةِ * كَأَنَّ الشَّقِيقَ جَامٌ مِنْ
عَقِيقِ أَحْمَرَ مِلَأَتْ قَرَارَتُهُ بِمِسْكِ أَذْفَرِ * الْأَرْضُ
زُمُرْدَةٌ وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ وَالْمَاءُ سَيُوفٌ وَالطُّيُورُ قِيَانٌ *
قَدْ غَرَدَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ

في وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر
 لَيْلَةٌ قُصَّ جَنَاحُهَا وَضَلَّ صَبَاحُهَا * لَيَالٍ لَيْسَتْ
 لَهَا أَشْحَارٌ وَظُلُمَاتٌ لَا يَخْلُلُهَا أَنْوَارٌ * لَيْلٌ نَ ثَابِتٌ
 الْأَطْنَابِ بَطِيءُ الْغَوَارِبِ طَاحُ الْأَمْوَاجِ وَافِي الذُّوَابِ *
 بَاتَ بِلَيْلَةٍ سَاوَرَتْهُ فِيهَا الْهُمُومُ وَسَامَرَتْهُ النُّجُومُ وَاکْتَحَلَ
 السَّهَادُ وَافْتَرَشَ الْقَتَادُ * اكْتَحَلَ بِمَاءِ السَّهْرِ وَتَمَلَّلَ عَلَى
 فِرَاشِ الْفِكْرِ * قَدْ أَقْضَى مَهَادُهُ وَقَلَبَ وَسَادُهُ * هُمُومٌ
 تَفَرَّقَ بَيْنَ أَجْنِبٍ وَالْمَهَادِ وَتَجَمَّعَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالسَّهَادِ

في وصف انتصاف الليل وتناهي وانتشار النور وإفول النجوم
 قَدْ اكْتَحَلَ الظَّلَامُ * قَدْ نَصَفْنَا عُمْرَ اللَّيْلِ وَأَسْتَعْرِقْنَا
 شَبَابَهُ * قَدْ شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ * كَادَ بَيْنَهُ النَّسِيمُ بِالسَّحَرِ *
 قَدْ انْكَشَفَ غِطَاءُ اللَّيْلِ وَسَتَرَ الدُّجَى * هَرِمَ اللَّيْلُ وَشَبَطَتْ
 ذَوَابُّهُ * قَوَّضَتْ خِيَامُ اللَّيْلِ وَخَلَعَ الْأَفُقُ ثَوْبَ الدُّجَى *
 تَبَسَّمَ الْفَجْرُ ضَاحِكًا مِنْ شَرْقِهِ وَنَصَبَ أَعْلَامَهُ عَلَى مَنَازِلِ
 أَفْقِهِ * اقْتَنَصَ بَارِزُ الضُّوءِ غُرَابَ الظَّلَامِ وَفَضَّ كَافُورُ
 النُّورِ مِنَ الْغَسَقِ مَسْكَ الْخَنَامِ * طُرِزَ قَمِيصُ اللَّيْلِ بِغُرَّةِ
 الصُّبْحِ * بَاحَ الصُّبْحُ بِسِرِّهِ * خَلَعَ اللَّيْلُ ثِيَابَهُ وَحَدَرَ الصُّبْحُ

نَقَابَهُ * بَثَّ الصُّبْحُ طَلَائِعَهُ * تَبَرَّقَعَ اللَّيْلُ بِغُرَّةِ الصُّبْحِ *
 أَطَارَ مُنَادِي الصُّبْحِ غُرَابَ اللَّيْلِ * عَزَلَتْ نَوَاجِجُ اللَّيْلِ
 بِجَامَاتِ الْكَافُورِ * وَأَنْهَزَمَ جَيْشُ الظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ النُّورِ *
 مَالَتْ الْحُجُوزَاءُ لِلْغُرُوبِ * وَوَلَّتْ مَوَاكِبُ الْكَوَاكِبِ * وَتَنَافَرَتْ
 عَقُودُ النُّجُومِ * وَهِيَ نِطَاقُ الْحُجُوزَاءِ * وَأَنْطَفَأَ فَنَدِيلُ الثَّرَيَا

في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتنوع النهار وانتصافه
 وابتدأته وانتهائه

بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ * أَلْتَمَتِ الْغَزَالَةُ لِعَابَهَا وَضَرَبَتْ
 الْأَضْحَى أَطْنَابَهَا * انْتَشَرَ جَنَاحُ الضُّوْءِ فِي أَفْقِ الْحُجُورِ *
 اسْتَوَى شَبَابُ النَّهَارِ * عَلَارَوْتُ الْأَضْحَى * بَلَغَتْ الشَّمْسُ
 كِبَدَ السَّمَاءِ * قَامَ قَائِمُ الْهَاجِرَةِ وَرَمَتْ الشَّمْسُ بِجَهْرَاتِ
 الظُّهْرِ * إِصْفَرَّتْ غِلَالَةُ الشَّمْسِ وَصَارَتْ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ
 يَلْمَعُ فِي قَرَارِ الْمَاءِ * نَفَضَتْ تَبْرًا عَلَى الْأَصِيلِ وَشَدَّتْ
 رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ * جَنَحَتِ الشَّمْسُ إِلَى مَغَارِبِهَا * دَلَّكَتْ
 دُلُوحُ * وَأَغْبَرَّ لَوْحُ اللُّوحِ * تَصَوَّبَتِ الشَّمْسُ لِلْغَيْبِ *
 تَصَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ فَادَّنَ جَنْبَهَا بِالْوُجُوبِ * شَابَ النَّهَارُ
 وَأَقْبَلَ شَبَابُ اللَّيْلِ * اسْتَتَرَ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالنَّقَابِ

وَتَوَارَتْ بِأَحْجَابِ * كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ مَطْلَعِ الْفَلَاقِ
إِلَى مَجْمَعِ الْغَسَقِ

في وصف الرعد والبرق

قَامَ خَطِيبُ الرَّعْدِ * نَبَضَ عِرْقُ الْبَرْقِ * سَحَابَةٌ أُرْتَجَزَتْ
رُعُودُهَا وَذُهِبَتْ بِرُوفِهَا بُرُودُهَا * نَطَقَ لِسَانُ الرَّعْدِ
وَخَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ فَالرَّعْدُ ذُو صَخَبٍ وَالْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ *
إِتْسَمَ الْبَرْقُ عَزَ قَهْقَهَةِ الرَّعْدِ * زَارَتْ أَسْوَدُ الرَّعْدِ *
وَلَمَعَتْ سِوْفُ الْبَرْقِ * رَعَدَتِ الْغَمَامُ وَبَرَقَتْ وَانْحَلَّتْ
عُرَى السَّمَاءِ فَطَبَّقَتْ * هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا وَقَرَبَتْ أَبَاعِدُهَا
وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا

في وصف مفدمات المطر

لَيْسَتْ السَّمَاءُ سِرًّا بِهَا * وَسَحَبَتْ السَّحَابُ أَذْيَالَهَا *
فَدِ اخْتَجَبَتْ السَّمَاءُ فِي سُرَادِقِ الْغَيْمِ * لَيْسَ الْخَبْوُ مُطْرَفَةً
أَلَا دَكْنٌ * بَاحَتْ الرِّيحُ بِأَسْرَارِ النَّدَى * ضَرَبَتْ خِيَمَةَ
الْغَمَامِ * إِبْتَلَّ جَنَاحُ الْهَوَاءِ وَاعْرُورِقَتْ مَقْلَةُ السَّمَاءِ *
هَبَّتْ شَمَائِلُ الْأَنْجَائِبِ لِتَأْلِيفِ شَمْلِ السَّحَابِ * تَأَلَّفَتْ
أَشْنَاتُ الْغُيُومِ وَأُسَيْلَتِ السُّنُورُ عَلَى النُّجُومِ

في وصف الثلج والبرد وإيام الشتاء

مَدَّ الشِّتَاءُ رِوَاقَهُ وَأَلْتَى أَرْوَاقَهُ وَحَلَّ نِطَاقَهُ * أَنَاخَ
بِنَوَازِلِهِ وَأَرْسَى مِكْلَاحِهِ وَكَلَحَ بِوَجْهِهِ وَكَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ *
قَدْ عَادَتْ الْحَيَالُ شَيْبًا وَلَيْسَتْ مِنَ الثَّلُوجِ مُلَاءَ قَشِيبًا *
شَابَتْ مَفَارِقُ الْبُرُوجِ بِتَرَاحِمِ الثَّلُوجِ * أَلَمَّ الشَّيْبُ بِهَا
وَأَبْيَضَتْ لِمَمَهَا * بَرْدٌ يَقْضِضُ الْأَعْضَاءَ وَيَقْضُ الْأَحْسَاءَ *
بَرْدٌ يَجْمِدُ الرِّيقَ فِي الْأَشْدَاقِ وَالْدَّمَعَ فِي الْأَمَاقِ * يَوْمٌ
كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لِهَوْلِهِ * يَوْمٌ فَضِيَّ الْجَلْبَابِ مِسْكِي
النِّقَابِ عُبُوسٌ قَمَطَرِيٌّ كَشَرَ عَنْ نَابِ الزَّمْهَرِيرِ وَفَرَشَ
الْأَرْضَ بِالْفَوَارِيرِ * يَوْمٌ أَرْضُهُ كَالْفَوَارِيرِ اللَّامِعَةِ وَهَوَاؤُهُ
كَالزَّنَابِيرِ اللَّاسِعَةِ

في وصف المطر والماء والسحاب والغدران

مَا بَهِ إِذَا مَسَّتْهُ أَيْدِي النَّسِيمِ حَكَى سَلَاسِلَ الْفِضَّةِ *
غَدِيرٌ تَرَقَّرَقَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ
الرِّيَّاحِ الْغَرَائِبِ * انْخَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ وَأَنْهَلَ دَمْعُ الْأَنْوَاءِ *
انْخَلَّ سِلْكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْجَبَرِ * سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغُيُومِ
جِبَالًا وَتَهْدُ مِنَ الْأَمْطَارِ حَيَالًا * سَحَابَةٌ تُرْسِلُ الْأَمْطَارَ

أَمْوَاجًا وَالْأَمْوَاجُ أَفْوَاجًا * سَحَابَةٌ يَصْحَكُ مِنْ بُكَائِهَا الرُّوضُ
وَتُخْضِرُ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضُ * سَحَابَةٌ لَا تَحْفُتُ جُفُونَهَا وَلَا
يَحْفُتُ أُنْيُهَا * دِيمَةٌ رَوَتْ أَدِيمَ الثَّرَى وَنَبَّهَتْ عِيُونَ النَّوْرِ
مِنَ الْكُرَى * سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ وَسَحَّتْ كَأَفْوَاهِ
الْجِرَاحِ * مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقِرْبِ

في وصف الفيض وشدة الحر

حَرُّ يُشْبِهُ قَلْبَ الصَّبِّ وَيُذِيبُ دِمَاعَ الضَّبِّ * قُوَى
سُلْطَانِ الْحَرِّ وَبُسْطَ بِسَاطِ الْجَهْرِ * أَوْقَدَتْ الشَّمْسُ
نَارَهَا وَأَذَكَّتْ أَوَارَهَا * حَرٌّ يَلْفُحُ حَرُّ الْوَجْهِ * هَاجِرَةٌ
كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ إِذَا اشْتَعَلَتْ فِيهَا نَارُ الْفِرَاقِ *
هَاجِرَةٌ تَحْكِي نَارَ الْهَجْرِ وَتُذِيبُ قَلْبَ الصَّخْرِ * حَرٌّ يَهْرُبُ
لَهُ الْحَرِبَاءُ مِنَ الشَّمْسِ * قَدْ صَهَرَتْ الْهَاجِرَةُ الْأَبْدَانُ
وَرَكِبَتْ الْجَنَادِبُ الْعِيدَانَ * حَرٌّ يُنْضِجُ الْجُلُودَ وَيُذِيبُ
الْجُلُودَ * أَيَّامٌ كَأَيَّامِ الْفُرْقَةِ أَمْدَادًا وَحَرٌّ كَحَرِّ الْوَجْدِ
أَشْدَادًا * هَاجِرَةٌ كَالسَّعِيرِ الْهَاجِمِ يَجْرُ أذْيَالُ السَّمَاءِ

في وصف الشيب

ذَوَى غُصْنٍ شَبَابِهِ * بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ *

أَقْمَرُ لَيْلٍ شَبَابِهِ * ظَهَرَتْ غُرَّةُ الْقَهْرِ وَأَوْضَرَ الْبَرَقُ فِي
 لَيْلِ الشَّعْرِ * رُمِيَ فَاحِمُ الْفُؤَادِ بِضِدِّهِ وَاشْتَعَلَ الْمُبِيشُ
 فِي مُسَوِّدِهِ * لَمِعَ ضَوْؤُ فَرْعِهِ وَتَفَرَّقَ شَمْلُ جَمْعِهِ * عَلَاهُ
 غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ * بَيْنَاهُ رَاقِدٌ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ أَيْقَظُهُ
 صُحْبُ الْمَشِيبِ * طَوَى مَرَا حِلَ الشَّبَابِ وَأَنْفَقَ عِدْرَهُ بِغَيْرِ
 حِسَابِ * جَاوَزَ مِنَ الشَّبَابِ مَرَا حِلَ وَوَرَدَ مِنَ الشَّيْبِ
 مَنَاهِلَ * فَلِ الدَّهْرِ شَبَابُ شَبَابِهِ وَمَحَا مَحَاسِنَ رُؤَايِهِ * طَارَ
 غُرَابُ شَبَابِهِ * إِنْتَهَى شَبَابُهُ وَشَابَ أَتْرَابُهُ * اسْتَبْدَلَ
 بِأَلَدِهِمُ الْأَبْلَقَ وَبِالْغُرَابِ الْعَقِيقَ * اسْتَعَاذَ مِنَ
 الْغُرَابِ بِقَادِمَةِ النَّسْرِ * أَسْفَرَ صُحْبُ الْمَشِيبِ * عَلَتْهُ أُمُّهُ
 الْكَبِيرُ * نَفَضَ جَبَّةَ الصَّبِيِّ وَنَوَلَى دَاعِيَةَ الْحُجِيِّ * الشَّيْبُ
 زُبْدَةٌ مَخْضَتُهَا الْأَيَّامُ وَفِيضَةٌ مَحْضَتُهَا التَّجَارِبُ * سَرَى فِي
 طَرِيقِ الرُّشْدِ بِصَبَاحِ الشَّيْبِ * الشَّيْبُ خِطَامُ الْمَنِيَةِ *
 الشَّيْبُ نَذِيرُ الْآخِرَةِ

في وصف آلات الكتابة

الدَّوَاهُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدَوَاتِ وَهِيَ لِلْكِتَابَةِ عُنَادٌ وَلِلْخَاطِرِ
 زِنَادٌ * غَدِيرٌ لَا يَرِدُهُ غَيْرُ الْأَفْهَامِ وَلَا يُنْمَخُ بِغَيْرِ أَرْضِيَةِ

أَفْلَامٌ * غَدِيرٌ تَفِيضٌ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ أَقْطَارِهِ وَتَنْشَأُ
 سَحْبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ فَرَارِهِ * مِدَادُ كَسَوَادِ الْعَيْنِ وَسُوَيْدَاءُ
 الْقَلْبِ وَجَنَاحُ الْغُرَابِ وَلُعَابُ اللَّيْلِ وَالْوَرْدُ دُهْمُ الْخَيْلِ *
 مِدَادُ نَاسَبِ خَافِيَةِ الْغُرَابِ وَأَسْتَعَارَ لَوْنُهُ مِنْ شَرِّخِ
 الشَّبَابِ * أَفْلَامُ جَمَّةِ الْعَمَّاسِينَ بَعِيدَةٌ مِنَ الْمَطَاعِينَ *
 أَنَابِيْبُ نَاسَبَتْ رِمَاحَ الْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا وَشَاكَلَتْ الذَّهَبَ
 فِي أَلْوَانِهَا وَضَاهَتْ الْحَدِيدَ فِي لَمَعَانِهَا * أَفْلَامُ كَانَهَا
 الْأَمْيَالُ أَسْتَوَاءً وَالْأَجَالُ مَضَاءً بِطِيبَةِ الْحَفَى قُوَّةُ الْقُوَى *
 قَلَمٌ لَا يَنْبُو إِذَا نَبَتِ الصِّفَاحُ وَلَا يُجْجِمُ إِذَا أُحْجِمَتْ
 الرِّمَاحُ * قَلَمٌ يَسْكُتُ وَاقِفًا وَيَنْطِقُ سَاكِتًا

في وصف الخطباء

جَلُّوا بِكَلَامِهِمِ الْأَبْصَارَ الْعَلِيلَةَ وَشَحَذُوا بِمَوَاعِظِهِمِ
 الْأَذْهَانَ الْكَلِيلَةَ وَنَبَّهُوا الْقُلُوبَ مِنْ رَقْدَتِهَا وَتَقْلُوهَا عَنْ
 سُوءِ عَادَتِهَا فَشَفَّوْا مِنْ دَاءِ الْقِسْوَةِ وَغَبَاةِ الْغَفْلَةِ وَدَاوُوا
 مِنْ أَلَمِ الْفَاضِحِ وَنَهَجُوا لَنَا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ * خَطِيبٌ لَا
 تَنَالُهُ حَبْسَةٌ وَلَا تَزِيغُهُ لُكْنَةٌ وَلَا تَنْمَشِي فِي خِطَابِهِ رُتَّةٌ وَلَا
 تُخَفِّفُ بَيَانُهُ عَجْمَةٌ وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانُهُ عُقْدَةٌ * خَطِيبٌ

جَوَاهِرُ نَفْسَانِهِ صِحَاحٌ وَعَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * خَطِيبٌ
تَزَيَّنَتْ بِدُرَرِ الْفَاطِمَةِ عُقُودُ الْمَلْحِ * لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنْ
لَفْظَهُ عَطَّلَ الْبَاقُونَ وَالْدَّرُّ * خَطِيبٌ مَصْنَعٌ يَنْتُرُ لِسَانُهُ
الْلُّوْلُؤَ الْمَكْنُونِ * هُوَ الْخَطِيبُ الْمَصْنَعُ الَّذِي أَشْخَصَ
بِآيَاتِ خُطْبِهِ الزَّاجِرَةَ عُبُودَ الْقَوْمِ وَأَبْكَاهَا * هُوَ الْخَطِيبُ
الْمَصْنَعُ الَّذِي تَنَلَّعَبُ بِالْعُقُولِ مَعَانِيهِ وَيُصَاغُ الدُّرُّ مِنْ
لَفْظٍ فِيهِ * هُوَ الْخَطِيبُ الَّذِي تَهْتَزُّ لَهُ الْمَنَابِرُ وَتَقَادُ إِلَيْهِ
كَلِمَاتُ السِّحْرِ مُتَسَابِقَةً آخِذًا بَعْضُهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ

في وصف العلماء

بَدْرُ الْعُلُومِ اللَّائِحُ وَقَطْرُهَا الْغَادِي وَالرَّائِحُ وَثَبِيرُهَا
الَّذِي لَا يُزْحَمُ وَمُنِيرُهَا الَّذِي يُنْعَلِي بِهِ لَيْلُهَا الْأَسْحَمُ * أَمَّا
فَنُونَ الْأَدَبِ فَهُوَ آئِنُ بَجْدَتِهَا وَأَخُوجُمَلَتِهَا وَأَبُو عُذْرَتِهَا
وَمَا لِكَ أَرْمَتِهَا * تُسَخَّرُ الْجَوَاهِرُ مِنْ بُحُورِهِ وَتَحْلِي لَبَاتُ
الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سَطُورِهِ * تَأْكِيْفُهُ غُرَرُ مُنِيرَاتٍ أَضَاءَتْ
فِي وُجُوهِ دُهُمِ الْمُسْكِلَاتِ * عَالِمٌ أَفْلَامُهُ نَفَثَاتُ السِّحْرِ *
تَأْكِيْفُهُ عَقَائِلُ أَصْحَ الدَّهْرِ مِنْ خُطَابِهَا * لَهُ بَدَائِعُ مَا نِسَاتُ
الْأَعْطَافِ * بَحْرُ الْبَيَانِ الزَّائِرُ * شَيْخُ الْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا

وَمَنْ فِي يَدِهِ زِمَامُهَا لَدَيْهِ تَشْدُ ضَوَالُ الْأَعْرَابِ وَتُوجَدُ
 سُورِدُ اللُّغَةِ وَالْأَعْرَابِ * مَا لِكَ أَعْنَى الْعُلُومِ وَنَاهُجُ
 طَرِيقِهَا وَالْعَارِفُ بِتَرْصِيعِهَا وَتَنْمِيقِهَا النَّبَاطِمُ لِعُقُودِهَا
 الرَّاقِمُ لِبُرُودِهَا التَّعِيدُ لِرَهَافِهَا الْعَالِمُ بِجِلَالِهَا وَزَفَافِهَا *
 مَلِكُ رِقِّ الْكِتَابَةِ وَالْإِنْشَاءِ وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ الْأَبْدَاعِ
 كَيْفَ شَاءَ * عَالِمٌ يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِيهِ وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ
 مِنْ نَوَاحِيهِ * صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ النَّبِ دَلَّتْ عَلَى وَفَرَةٍ
 أَطْلَاعِهِ وَغَزَارَةِ مَادَّتِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ * لَمْ يَتْرُكْ مَعْنًى مُغْلَقًا
 إِلَّا فَتَحَ صِيَاصِيهِ وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَانِيهِ

في وصف البلغاء

فُلَانٌ بِحُكْمِ الْكَلَامِ عَلَى حَسَبِ الْأَمَانِي وَبَحِيطُ
 الْأَلْفَاظِ عَلَى قُدُودِ الْمَعَانِي * يَجْنِي مِنَ الْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا
 وَمِنْ الْمَعَانِي نِهَاةَهَا * يَعْبَثُ بِالْكَلَامِ وَيَقُودُهُ بِاللِّينِ
 زِمَامٌ حَتَّى كَأَنَّ الْأَلْفَاظَ تَحَاسَدُ فِي التَّسَابُقِ إِلَى خَوَاطِرِهِ
 وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْأَثْبَالِ عَلَى أَنْامِلِهِ * بَلِغٌ نَسَقَ مِنْ
 جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكَاوِيلَ دُرٍّ مَا لَمْ يَنْظُومِهَا سِلْكٌ * بَلِغٌ تَفَكُّ
 سِهَامِ أَفْكَارِهِ الزَّرْدِ * نَاطِمٌ سِلْكِ الْبَلَاغَةِ وَقَائِدُ زِمَامِ

الْبَرَاةِ * إِذَا أَوْجَزَ عَجَزَ وَإِذَا شَاءَ أَطَالَ وَأَطْلَقَ مِنَ
الْبَلَاغَةِ الْعِمَالِ * إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفِكْرِ أَضَاءَ ظَلَامَ
الْأَمْرِ * يَسْتَنْبِطُ حَقَائِقَ الْقُلُوبِ وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ الْغُيُوبِ
في وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مَقْدِفُ حَصَى الْقَرِيضِ وَجَارِهِ وَمَطْلَعُ شُهُوسِهِ وَأَقْمَارِهِ *
نَثَرُهُ سِحْرُ الْبَيَانِ وَنَظْمُهُ قِطْعُ الْجَبَانِ * طَلَعَتْ شَمْسُ
الْأَدَبِ مِنْ أَفْقِ أَشْعَارِهِ وَتَغَيَّرَتْ يَنَابِيعُهَا مِنْ خِلَالِ
أَنَارِهِ * شَاعِرٌ تَوَقَّدَتْ جَهَنَّمُ أَفْكَارِهِ * شَاعِرٌ عَرَّائِسُ
أَفْكَارِهِ صِبَاحُ * إِنْ نَثَرَ فَالْخُومُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَّمَ
فَالْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَافِهَا * أَخَذَتْ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ كَلِمُهُ *
إِذَا كَتَبَ انْتَسَبَ إِلَيْهِ السِّحْرُ أَصَحَّ انْتَسَابِ وَنَسَقَ الْمُعْجِزَاتِ
نَسَقَ حِسَابِ وَأَرَى الْبِدَائِعَ بَيْضَ الْوُجُوهِ كَرِيمَةِ الْأَحْسَابِ *
إِنْ نَثَرَ رَأَيْتَ بَحْرًا يَزْخَرُ * إِذَا نَظَّمَ أَرَى بَنَظْمَ الْعُقُودِ
وَأَتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَقْمِ الْبُرُودِ * إِذَا كَتَبَ مَلَأَ الْمَهَارِقَ
بَيَانًا وَأَرَى السِّحْرَ عِيَانًا * هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي تَحْسُدُ أَرْقَامُ
الْطَّرَازِ سَطُورَ قَلَمِهِ وَيَبْوِذُ النَّبْرُوكُ كَانَ مِدَادَ كَلِمِهِ * هُوَ
الْكَاتِبُ الَّذِي تَتَقَادُ إِلَى يَرَاعِهِ دَفَائِقُ الْمَعَانِي صَاغِرَةً

بِزِمَامٍ * نَثَرَ كَثِيرَ الْوَرْدِ وَنَظَّمَ كَظْمَ الْعِقْدِ * نَثَرَ كَالسَّحَرِ
 أَوْ أَدَقَّ وَنَظَّمَ كَالْمَاءِ أَوْ أَرَقَّ * نَثَرَ كَمَا تَفْخُ الزَّهْرُ
 وَنَظَرَ كَمَا تَنْفَسُ السَّحَرُ * رِسَالَةٌ تَضْحَكُ عَنْ غُرِّ وَزَهْرِ
 وَقَصِيدَةٌ تَطْوِي عَلَى حَبَرٍ وَذَرَرٍ * كَلَامٌ كَمَا هَبَّ نَسِيمُ
 السَّحَرِ عَلَى صَفَحَاتِ الزَّهْرِ * كِتَابٌ مَطْلَعُهُ مَطْلَعُ أَهْلِهِ
 الْأَعْيَادِ وَمَوْقِعُهُ مَوْجِعُ نَيْلِ الْمُرَادِ * كِتَابٌ حَسْبُهُ يَطِيرُ
 مِنْ يَدَيِ الْخَفَّتِهِ وَيَلْطَفُ عَنْ حِسِّي لِقَلَّتِهِ * صَحَائِفُ أَنْطَوَتْ
 الْحَاسِنُ تَحْتَ رَقٍّ مَشُورِهَا وَصَدَحَتْ حَمَامُ الْبَلَاغَةِ عَلَى
 أَغْصَانِ سَطُورِهَا * صَحَائِفُ تُنَوِّبُ عَنِ الصَّفَاحِ وَقَرَّاطِيسُ
 تَزُفُّ إِلَى الْأَسْمَاعِ عَرَائِسُ الْفَرَاحِ * صَحَائِفُ الْبَسْمِ
 الْحَبِيرُ أَنْوَابًا مِنَ الْحَبَرِ وَدَجَّهَا صَوْبُ الْفِكْرِ لَا صَوْبُ الْمَطَرِ

في وصف الامراء والاشراف

فَلَانٌ مِنْ شَرَفِ الْعُنْصُرِ الْكَرِيمِ وَمَعْدِنِ الشَّرَفِ
 الصِّمِيمِ * أَصْلُ رَاسِخٍ وَفَرْعٌ شَاخٍ وَمَجْدٌ بَادِخٌ * قَدْ رَكَّبَ
 اللَّهُ دَوْحَهُ فِي قَرَارَةِ الْعَيْدِ وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَنبِتِ الْفَضْلِ *
 الْعَيْدُ لِسَانٌ أَوْصَافِهِ وَالشَّرَفُ نَسَبُ أَسْلَافِهِ * دَوْحَةٌ
 رَسَبَ عَرِفُهَا وَبَسَقَ فَرْعُهَا وَطَابَ عُودُهَا وَأَعْنَدَلْ

عَمُودُهَا وَفِيَّاتُ ظِلَالُهَا وَتَهْدَلَتْ ثِمَارُهَا وَتَفَرَّعَتْ
 أَغْصَانُهَا وَبَرَدَ مَقِيلُهَا * أَمِيرُ جَيْشِهِ أَلْهَمَم * دَوْحَةُ مُجْدِيهِ
 وَرَيْفَةُ الظِّلِّ وَرَيْفَةُ * أَمِيرُ لَا عَيْبَ فِي نَدَاهُ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَعِيدُ
 كُلَّ حُرٍّ * هُوَ غَرَّةُ الْجَمَالِ وَصُورَةُ الْكَمَالِ * عَقْدُ الْمَنَاصِبِ
 بِهِ نَضِيدُ * أَمِيرُ عَيْقَتْ مِنْ شَمَائِلِهِ نَسَمَاتُ النَّدِّ وَقَطَرَتْ
 مِنْ سَلْسِيلِ أَوْصَافِهِ مِيَاهُ الْعَجْدِ * جَامِعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَهْلِ
 الْفَضَائِلِ * نَاطِمُ مَا أَتَنَزَّ مِنْ عَقْدِ الْمَآثِرِ * أَنَارَتْ بِهِ نُجُومُ
 الْمَعَالِي وَشَمُوسُهَا * لَهُ شَرَفٌ بِإِذْخِ تَعَقُّدِ بَآئِنُ الْجُودِ ذَوَائِبُهُ *
 أَلْقَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةَ مَقَالِيدُهَا وَمَلَكْنَهُ طَرِيفُهَا وَتَلِيدُهَا *
 أَمِيرُ تَفَرَّعَ مِنْ دَوْحَةِ سَنَا * وَتَحَدَّرَ مِنْ سُلَالَةِ أَكَابِرِ وَرُقَاةِ
 أَسْرَةٍ وَمَنَابِرِ * مُرْتَضِعُ نَدْيِ الْعَجْدِ وَمُقْتَرِشُ حَبْرِ الْفَضْلِ *
 لَهُ صَدْرٌ تَضِيْقُ بِهِ الدَّهْنَاءُ وَتَفَرَّغُ إِلَيْهِ الدَّهْمَاءُ * لَهُ فِي
 كُلِّ مَكْرَمَةٍ غَرَّةُ الْإِصْبَاحِ وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَادِمَةُ الْجَنَاحِ *
 لَهُ صُورَةٌ تَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْبِيحِ وَيَتَفَرَّقُ فِيهَا مَاءُ
 الْكَرَمِ وَتُقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ الْبَشَرِ * يَنَابِيعُ الْجُودِ تَنْفَجِرُ مِنْ
 أُنَامِلِهِ وَرَبِيعُ السَّمَاءِ يَضْحَكُ مِنْ فَوَاضِلِهِ * لَهُ أَخْلَاقُ
 خُلُقِنَ مِنَ الْفَضْلِ وَشَيْمٌ تُشَامُ مِنْهَا بَوَارِقُ الْعَجْدِ * أَرْجَ

الزَّمانُ بِفَضْلِهِ وَعَقِمَ النِّساءُ عَنِ الْاِتيانِ بِمِثْلِهِ * ماله
لِلْعَفاءِ مِباحٌ وَفَعالهُ فِي ظِلْمَةِ الدَّهْرِ مِصباحٌ * مَنابُ
تَشْدُخُ فِي جَبِينِها غُرَّةُ الصَّباحِ وَتَهْادى اَنْباءُها وَفودُ
الرِّياحِ * سالتُ عَن اَخْبائِهِ فَكأَنِّي حَرَكْتُ الْمِسْكَ فَنيقا
أَوْ صَبَّحْتُ الرُّوضِ اَنْبِيا * هُوَ رَاشِشُ نَبْلِهِمْ وَنَبْعَةُ فَضْلِهِمْ
وَواسِطَةُ عَقْدِهِمْ * لَهُ هِمَّةٌ عَلا جَناحِها اِلى عَنانِ النِّجمِ
وَأَمَدُ صَباحِها مِنْ شَرْقٍ اِلى غَرْبٍ * هِمَّتُهُ أَبْعَدُ مِنْ مَنابِ
الْفَرَقْدِ وَأَعلى مِنْ مَنكِبِ الجُوزِ آءِ * مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
مَوْضِعُ الْوِاسِطَةِ مِنَ الْعِقْدِ وَلَيْلَةُ النِّمِّ مِنَ الشَّهْرِ بَلْ لَيْلَةُ
الْقَدْرِ اِلى مَطْلَعِ النُّجُومِ * هَطَلَتْ عَلَيَّ سَحَابُ عِنايَتِهِ وَرَفَرَتْ
حَوْلِي أَجْنَحَةُ رِعايَتِهِ * قَدْ اسْتَظْهَرْتُ عَلَى جَوْرِ الْاَيامِ
بِعَدْلِهِ وَاسْتَنْتَرْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّهِ * قَدْ غَرَّقْتَنِي نِعْمُهُ حَتَّى
اسْتَنْفَدْتُ شُكْرَ لِسَانِي وَيَدِي * تَتَابَعَتْ نِعْمُهُ تَتَابَعُ الْفَطْرِ
عَلَى الْفَقْرِ وَتَرادَفَتْ مِنْهُ تَرادَفَ الْيُسْرِ اِلى ذِي الْفَقْرِ *
لَهُ اَيَادٍ قَدْ عَمَّتِ الْاَفاقَ وَطَوَّقَتْ الْاَعناقَ * اَيادٍ قَدْ
حَبَسَتْ عَلَيْهِ الشُّكْرَ وَاسْتَعْبَدَتْ لَهُ الْحُرَّ * مِنْ تَوالتِ تَواليِ
الْفَطْرِ وَاتَّسَعَتْ سَعَةُ الْبَرِّ وَالْبَجْرِ وَاتَّقَلَتْ كاهِلَ الْحُرِّ *

عِنْدِي فَلَادَةٌ مَنَظِيَّةٌ مِنْ مِثْلِهِ قَدْ جَعَلَتْهَا وَقْفًا عَلَى تَحْوِرِ
 الْأَيَّامِ وَجَلَوْنَهَا عَلَى أَبْصَارِ الْأَنَامِ * أَيَادِيهِ أَطَوَّقَتْ
 فِي أَجْيَادِ الْأَحْرَارِ * أَيَادِي يَفْرُضُ لَهَا الشُّكْرَ وَبُحْتَمُ وَمِنْ
 يَدَيْهَا الذِّكْرُ وَبُحْتَمُ * أَيَادِي تُثْقِلُ الْكَاهِلَ وَمِنْ تَنْعَبُ
 الْأَنَامِلِ * مِنْ هِيَ أَحْسَنُ أَثَرٍ مِنَ الْغَيْثِ فِي أَزَاهِيرِ
 الرَّبِيعِ وَأَحْلَى مَوْقِعٍ مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْمَرْوَعِ *
 أَيَادِي لَا تُحْصَى أَوْ تُحْصَى مُحَاسِنُ النُّجُومِ وَمِنْ لَا تُحْصَرُ أَوْ
 تُحْصَرُ أَفْطَارُ الْغُيُومِ * زَادَتْ أَيَادِيهِ حَتَّى كَادَتْ تَجْهَدُ
 الْأَعْدَادَ وَتَسْبِقُ الْأَعْدَادَ

في وصف البكاء والجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها
 خَبَرٌ عَزَّ عَلَى النُّفُوسِ مَسْمُوعُهُ وَأَثَرٌ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعُهُ *
 خَبَرٌ تَسْتَلِكُ لَهُ الْمَسَامِعُ وَتَرْجُو بِهِ الْأَضَالِغُ * مُصَابٌ
 فَضٌّ عَقُودَ الدَّمُوعِ وَشَبَّ النَّارِ بَيْنَ الضُّلُوعِ * مُصَابٌ
 أَذَابَ دُمُوعَ الْأَحْرَارِ فَتَحَلَّيْتُ سَحَابِيبُ الدَّمُوعِ الْغِزَارِ
 وَاسْتَدَّتْ مَسَالِكُ السُّكُونِ وَالْإِسْتِقْرَارِ * رُزْيًا نَكَا الْقُلُوبَ
 وَجَرَحَهَا وَأَحْرَّ الْأَكْبَادَ وَقَرَّحَهَا فَالْدُمُوعُ وَكَفَّةُ
 وَالْقُلُوبُ وَاجِفَةٌ وَالْهَمُّ وَارِدٌ وَالْأَنْسُ شَارِدٌ وَالنَّاسُ

مَاتَهُمْ عَلَيْهِ وَاحِدٌ * غَرَبَ لِمَوْتِهِ نَجْمُ الْفَضْلِ وَكَسَدَتْ
سُوقُ الْأَدَبِ وَقَامَتْ نَوَادِبُ السَّمَاحَةِ * لَطَمَتْ عَلَيْهِ
الْحَاسِنُ خُدُودَهَا وَشَقَّتْ لَهُ الْمَنَاقِبُ جُيُوبَهَا وَبَرَّودَهَا *
رَزَقَتْ لَهُ الْأَحْشَاءُ مُحْتَرِقَةً وَالْأَجْفَانُ بِمَاءِهَا غَرِقَةً وَالْدَّمْعُ
وَكَفَتْ وَالْحُزْنُ عَاصِفٌ * مَا أَعْظَمَهُ مَقْشُودًا وَمَا أَكْرَمَهُ
مَوْجُودًا * إِنِّي لَأَنُوحُ عَلَيْهِ نَرَحَ الْمَنَاقِبِ وَأَرْثِيهِ مَعَ النُّجُومِ
الَّتَوَاقِبِ وَأَبْكِيهِ مَعَ الْمَعَالِي وَالْحَاسِنِ وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِشَاءِ
الْمَسَاعِي وَالْمَآثِرِ * مَضَى وَالْحَاسِنُ تَبَكُّيهِ وَالْمَنَاقِبُ
تُعْزِي الْعَيُونَ فِيهِ * كَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفَ الْأَضْيَافِ وَمَأْنَسَ
الْأَشْرَافِ وَمَنْجَعِ الرُّكَبِ وَمَقْصِدِ الْوَفْدِ * إِعْنَاضَ مِنْ
تَزَاحُمِ الْمَوَاقِبِ تَحَاشُدِ الْمَآثِمِ وَمِنْ ضَجِجِ الْبُكَاءِ وَالصَّهِيلِ
عَجِجِ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ * هَذِهِ الْمَكَارِمُ تُبْكِي شَجْوَهَا لِقَدَرِ
وَتَلْبَسُ حِدَادَهَا مِنْ بَعْدِهِ * هَذِهِ الْحَاسِنُ قَدْ قَامَتْ
نَوَادِبُهَا مَعَ نَوَادِبِهِ وَأَقْتَرَنْتَ مَصَائِبُهَا بِمَصَائِبِهِ

ذيل

• في الادعية في خواتم الكتب

أَطَالَ اللَّهُ لِسِيدي الْبَقَاءَ كَطُولِ يَدِهِ بِالْعَطَاءِ وَمَدَّ
لَهُ فِي الْعُمُرِ كَأَمْتِدَادِ ظِلِّهِ عَلَى الْأَحَرِّ وَأَدَامَ لَهُ الْمَوَاهِبَ
كَمَا أَفَاضَ بِهِ الرِّغَائِبَ وَحَرَسَ لَدَيْهِ الْفَضَائِلَ كَمَا عَوَّذَ
بِهِ السَّمَائِلَ * لَا زَالَتِ الْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِالنَّائِنَاءِ نَاطِقَةً وَالْقُلُوبُ
عَلَى مَوَدَّتِهِ مَطَافِقَةً وَالشَّهَادَاتُ لَهُ بِالْفَضْلِ مُتَنَاسِقَةً *
أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْجَبِيلِ يُعْلِي مَعَالِمَهُ وَيُجَيِّ مَكَارِمَهُ وَيَعْمُرُ
مَدَارِجَهُ وَيُشِيرُ نَتَائِجَهُ * أَدَامَ اللَّهُ لَهُ الْمَوَاهِبَ سَامِيَةً
الذَّوَائِبِ مُوقِفَةً عَلَى أُمْنِيَةِ الرَّاجِي وَبُغْيَةِ الطَّالِبِ *
وَاللَّهُ يُتَابِعُ لَهُ أَيَّامَ الْعَلَاءِ وَالْعَبْطَةِ وَالنَّمَاءِ وَالْبَسْطَةِ
لِتَرْتَعَ أَنْوَاعُ الْمُخْدَمِ فِي رِيَاضِ فَوَاضِلِهِ وَتَتَكَرَّعَ أَصْنَافُ
الْمُخْشَمِ مِنْ حِيَاضِ مَوَاهِبِهِ * وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبِ الرُّئُوسَ
الْمَصَائِبِ وَيُعِيدُهُ مِنَ النُّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ أَتَى لَا تَنَامُ
وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي لَا يُرَامُ * لَا زَالَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي

مَطَايَاهُ فِي أَمَانِيهِ وَأَمَالِهِ وَصَرَفَ اللَّهُ صُرُوفَ الْغَيْرِ عَنْ
إِصَابَةِ إِقْبَالِهِ وَكَمَالِهِ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَهْنِئَتَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ
لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ وَمَا
بِأَيْدِي الْأَقْدَارِ مَعْصُومًا مِنْ عَوَادِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُكْتَنَفًا
مِنْ لَطَائِفِ اللَّهِ الْخَفِيَّةِ وَعَوَارِفِ صَنَائِعِهِ الْخَفِيَّةِ بِمَا
يُدْفَعُ عَنْ حَوَازِيهِ نَوَائِبُ الْخُطُوبِ وَيَصْنَعُ لَهُ فِي طَبَقِ
الْمَكْرُوهِ نَهَايَةَ التَّعْبُوبِ



